

جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية



٣٠١٠٢٠٠٠٠٠٠٧٧٧

ابن سِيد النَّاسِ وَلَدِهِ

دراسه وتحليل

رسالة ماجستير

مقدمة إلى كلية اللغة العربية (جامعة الأزهر)
لنيل درجة التخصّص (الماجستير) في الأدب والنقد

١٠٠٢٧٦٣

إعداد

٧٧٧

الأمين منوفلى عبد الكريم



إشراف

الأستاذ الدكتور

أحمد الشرباصى

” بسم الله الرحمن الرحيم ”

مقدمة :

- ١ - أردت بهذه الرسالة المتواضعة أن أقدم دراسة موجزة عن عالم جليل ، ومؤرخ ضليح ، وأديب رقيق ، ألا وهو :
أبو الفتح ابن سيد الناس اليممرى ~~اليممرى~~ الحافظ صاحب كتاب
عيون الأثر في فنون المغازي والشمايل والسير وكتاب منح المدح ، ففى
ذكر من مدح النبى صلى الله عليه وسلم أو رثاه من صحبه الكرام ، وكتاب
بشرى اللبيب بذكرى الحبيب ، وهو كتاب يحتوى على قصائد نبوية
من تأليف العالم الأديب ابن سيد الناس .
- ٢ - والذى حملنى على دراسة ابن سيد الناس وأدبه مع أنه ليس ممن اشتهر
بالأدب اشتهاره كحافظ ومؤرخ ، هو ما وجدته فى كتبه المخطوطة
- بشرى اللبيب - ومنح المدح ، والمقامات الحلية ، من هادة أدبية
لم تجد الدراسة والتحليل ، ولم تجد الطريق الى الطبع والنشر
حتى تأخذ مكانها فى رفوف المكتبة العربية وتضيف الى أدب لغتها
العربية الخالد حتى انتاجا مقدرا جادت به عبقرية أحد أبنائها الموهوبين
وهو أبو الفتح .
- ٣ - ولا أكتف سراً اذا قلت أننى أردت بهذه الدراسة أيضا أن تكون تمهيدا
وتوطئة لدراسة متأنية فى المستقبل ان شاء الله أقوم خلالها بتحقيق
لاحدى هذه المخطوطات .
وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب .

:: الباب الاول ::

عصره وحياته

الفصل الأول :

عصره السياسى

إذا أردنا بحث عصر ابن سيد الناس من الناحية السياسية فلا بد لنا من تحديد تلك المدة زمانا ومكانا ، ومعرفة من عاشوا فيها من الحكام والسياسة وكان معاصرا لهم ، ومعرفة كيفية حكمهم ، ومجرى الحياة والاحداث فى أيامهم . وهذا يقضي علينا أن نتعرض تاريخيا للشخصيات التى حكمت فى تلك المدة وما لقيت فى سبيل ذلك من متاعب وما حققت من أهداف .

وللخوض فى كل هذا نحدد عصر ابن سيد الناس فنقول :
لقد ولد العالم ، والمؤرخ ، والاديب محمد بن محمد بن محمد بن أحمد ابن سيد الناس البجوى بالقاهرة سنة ٦٧١ هـ وهو من أصل اشبيللى ، وتوفى بها أيضا سنة ٧٣٤ هـ ودفن بالقرافة بجوار ابن أبى حمزة .

وهذا التحديد يقع فى العصر المملوكى الذى استمر حوالى ثلاثة قرون .

ولئلا تتشعب بين الطرق سوف أحصر حديثى فى العصر المملوكى من منتصف القرن السابع عشر الى منتصف القرن الثامن عشر لاستنوفى القول عن حياته وحياته وآبائه ومن جاءوا بعده بقليل ممن تأثروا به .

فى سنة ٦٤٨ هـ والقرن السابع الهجرى يوشك على نهاية نصفه الاول — انتهت فى مصر الدولة الأيوبية وبدأت دولة المماليك ، وأول من اعتلى عرشها

شجرة الدر جارية الملك الصالح نجم الدين السلطان الايوبي ، وقد كانت زوجة له ثم تولت السلطة بعد موته ، وتزوجت بأحد أمراء الماليك وهو عز الدين أيبك *

وباستيلاء شجرة الدر على السلطة انتهت دولة الايوبيين وقامت دولة الماليك *

وقد خطب لشجرة الدر على المنابر، وتمكنت بدهائها أن تحكم دولة قصيرة ، وواجهت معارضة شديدة من أمرائها وخاصة عندما استقزهم الخليفة العباسي^(١) الذي لم يقبل تولي امرأة شئون مصرفيت اليهم برسالة جاء فيها ((كيف تولون عليكم امرأة اذا لم يكن بينكم رجال بعثنا إليكم بواحد من عندنا)) *

وبالرغم من الصعاب والمقبات التي واجهت شجرة الدر فقد حققت نجاحا مع قصر مدتها *

ومن هنا قامت دولة الماليك في مصر وعاشت في تلك المدة *

وبالوقوف على مدة حكم الماليك نجدها على دولتين الدولة الاولى هي المسماة بالمماليك البحرية ، وقد بدأت باستيلاء شجرة الدر على السلطة سنة ٦٤٨ هـ وانتهت بموت السلطان الملك الصالح زين الدين حاجي سنة ٧٨٤ هـ وقامت الدولة الثانية بتولى السلطات الظاهر يرقوق ، وانتهت بآخر سلاطينهم *

والدولة الاولى هي التي تعيننا لان مدتها هي المدة التي عاش فيها

(١) المستعصم آخر الخلفاء العباسيين ببغداد - التاريخ الاسلامي علي حسن ص ٤٦٤ - ٤٦٥ *

ومات ابن سيد الناس *

وتميزت الدولة الاولى بطول مدة حكم كثير من رجالها ما وفر لها
الاستقرار النسبي وحقت بعض الانتصارات الكبرى ضد العدوين الكبيـرين
— الصليبيين والتتار *

فيروى أن السلطان قطز قد هزم التتار في وقعة فاصلة بعين جالوت
سنة ٦٥٩ هـ ، وهزمهم كذلك السلطان الظاهر بيبرس سنة ٦٦٦ هـ ، كما
صفى سلاطينها تباعا جيوب الصليبيين الباقية في الشرق وأخـرها الاستيلاء
على عكا سنة ٦٩٠ هـ *

والسلطان الظاهر بيبرس — ٦٥٨ — ٦٧٦ هـ من أقوى سلاطين
الدولة المملوكية الاولى ، وقد دام ملكه طويلا بالنسبة لغيره ، وفي اثناء مدة
حكمه قام بحملات كثيرة ضد التتار والصليبيين في الشام والعراق وغيرها وفي
الجنوب قام بحملات ضد ملكة النوبة المسيحية ، وقد أثـمرت هذه الحملات
وكان من نتائجها كسر الموجات التتارية وتصفية بقايا الصليبية وتأمين الحدود
الجنوبية لمصر واستعادة النفوذ على بلاد النوبة من أيدي حكام ملكة النوبة
المسيحية *

ويرجع للظاهر بيبرس مضافا إلى هذه الحملات الفضل في تقوية الجيوش
المصرية وقيامها بتلك الواجبات الكبيرة *

وهذا ما أثـبته ابن شاكـر حيث قال :

" وكانت الحساكر في الديار المصرية أيام غيره عشرة آلاف فضاعفها
أربعة أضعاف " (١) .

(١) النجوم الزاهرة ج ٧ ص ١٦٠ *

وتسجيلا لكل هذا مدح الشعراء السلطان الظاهر بيبرس بشجاعته
وانتصاراته وعبروا بذلك عن إعجاب الجماهير وعن مشاعرهم التي ملئت بالسرور
والبهجة •

واستمر الظاهر بيبرس في تدعيم القوى العسكرية لدولته والوقوف فسي
وجه الأعداء وإرغامهم على الفرار أو الاستسلام •

والى جانب ذلك يذكر عن السلطان بيبرس أنه كان مهتما بالتمسك
بأوامر الدين ومراعاة حرمة ومحاربة البدع والمفاسد وتطبيق الحدود والتشدد
في ذلك إلى درجة الإضرار بالناس في بعض الأحيان •

قال ابن الوردي في تاريخه :

" كان السلطان الظاهر على قدر من الديانة وكان ملازما للخمس فسي
أوقاتها وألزم حاشيته بها • وحكى أنه ما شرب خمر قط ، ومنع كل منكر وكان
يحصل من المنكر كل يوم ألف دينار فأبطله ولما حج رأى بياب الكعبة محروما
يأخذ بأيدي ضعفاء الرعية ليصعدوا ، عمل الستور للكعبة والحجـرة
النبوية " (١) •

وأعقب السلطان بيبرس خلفاؤه من أبنائه الصغار الذين لم يعمرُوا فسي
السلطة طويلا •

وسرعان ما انتقلت هذه السلطة من بيته إلى المنصور قلاوون مؤسس
الأسرة القلاوونية ٦٧٨ - ٦٨٩ هـ •

ويحكى أن المنصور قلاوون كان أعجميا لا يفهم اللغة العربية ، لهذا
تصر عليه فهم الكلام العربي الفصيح من شعرونثر ، واتخذ لذلك الكتاب

(١) تاريخ مصر لابن الوردي ج ٣ ص ٣٣٥ •

والمترجمين ، لكه مع ذلك قام بأعمال عسكرية وإصلاحية كبيرة في مصر والشام
فشن غارات ناجحة على الصليبيين وصفى بعض جيوبهم بساحل الشام ، ووقف
أمام هجمات التتار المتكررة *

ومن مشاهير الأسرة القلاوونية السلطان الأشرف خليل ٦٨٩ - ٦٩٣ هـ
الذى حقق انتصارات عسكرية عظيمة أهمها فتح عكا والاستيلاء عليها ، وبهذا
العمل الجرى قضى نهائيا على الصليبيين واقتلع جذورهم التى تشبثت بالأرض
الصربية الاسلامية مدة من الزمن ، وقد فر عدد كبير منهم بعد سقوط المدينة
فى السفن التى دفعت بها الممالك الأوربية لتعاون على الحصار فى البحر *

وعادت عكا عربية بعد أن كانت مختصة لأكثر من مائة عام *

ورجع الأشرف خليل إلى القاهرة بعد هذا النصر المبين وأعلام النصر
عالية مرفرفة فى سماءه ، وسجل الشعراء هذا النصر المؤزر *

قال شهاب الدين محمود : (١)

الحمد لله أدلت دولة الصليب

وعز بالترك دين المصطفى المرسى

هذا الذى كانت الآمال لو طلبت

نؤياه فى النوم لاستحييت من الطالب

ما بعد عكا وقد هدأت قواعدها

فى البحر للشرك فيها كف مقتصب

لم يبق من بعدها للكفر مذخرت

فى البر والبحر ما ينجى سوى الهرب

وبالاستيلاء على عكا انتهى آخر سطر في القضية الدامية قضية استيلاء الصليبيين على أوطان الأمم والشعوب بالقوة وتشريدهم في أبشع مأساة عرفها التاريخ *

وإذا كان الأشرف خليل من مشاهير هذه الأسرة فإنَّ الناصر محمد — ٦٩٣ هـ — يعد من أكبر سلاطين هذه الأسرة على الإطلاق وأطولهم عصرا وأكثرهم استقرارا وازدهارا فقد بلغت سنوات حكمه في الممدد الثلاث التي تولى فيها السلطنة نصف قرن تقريبا *

ففي نهاية العام التاسع من القرن الثامن استقر في ملكه وكان قد بلغ من الشباب والحنكة مبلغا جعله أهلا للحفاظ على ملكه *

وحفلت مدة ملكه بأحداث جسام ، منها استيلاء التتار على دمشق بعد هزيمته في وقعة وادي الخازندار سنة ٦٩٩ هـ أمام غازان ، وقد اضطرب هو وفرقة إلى التوجه إلى مصر ، وقطعت الخطبة باسمه في دمشق بعد هذه الهزيمة ثم أعيدت بعد عودته مرة ثانية واستعادة دمشق إلى سلطانه *

ودارت مكاتبات بين الناصر محمد وغازان غضب على أثرها غازان وأعد جيشا لغزو الشام من جديد واستعد له الناصر محمد والتقى الجمعان عند مرج الصفر سنة ٧٠١ هـ وكتب للناصر النصر في هذه المعركة ولم تغرب شمس ذلك اليوم إلا ورايات الناصر المنتصرة ترفرف على أبواب دمشق ثم تدخل القاهرة ويلقاها الناس بالابتهاج والسرور ، وفي عهده تم فتح جزيرة أرواد من بلاد الأفرنج سنة ٧٠٢ هـ ثم كانت وقعة شقحب في هذه السنة بينه وبين التتار وقد كسب هذه المعركة وكان النصر له ولجيشه *

وفي داخل البلاد أخذ بعض الثورات منها ثورات الحريان بصعيد

وقد مهدت هذه المدة الطويلة في الاستقرار الطريق أمامه لكثير من الأعمال الداخلية ، وشعر الناس بالهدوء والراحة بعد فترات الاضطراب والفناء والغرض التي سادت من قبل .

وصف ابن حجر مرحلة الهدوء والإزدهار التي سادت معظم عصر الناصر محمد فقال :

" ولم ير أحد مثل سعادة ملكه وعدم حركة الأعادي عليه برأ وبحراً مع طول المدة ، فنذ وقعة شقحب إلى أن مات لم يخرج عليه أحد " (١) .

ويحكى أنه كان شجاعاً مهيباً ذا دهاء ، ومطاعاً وذا مقدرة على إدارة ملكه العريض عارفاً بسياسة الدولة ، ولا يقر في المناصب إلا من هو أهل لها .

توفي الناصر سنة ٧٤١ هـ وتولى السلطنة من بعده عدد من أبنائه ، وأهم من كان منهم وأطولهم حكماً السلطان الناصر حسن الذي بلغت مدة حكمه في فترتين إحدى عشر عاماً ، ويروى أنه كان ظالماً للرعية متعسفاً في حكمه .

وعند هذا الحد انتهت مراحل الجولة الأولى من الصراع بين التتار ودولة المماليك الأولى واستمر السلام قائماً خلال عصر الناصر محمد وخلفائه من بعده ، إلى أن جاء الطوفان عاتياً دمروا من الشرق بقيادة تيمورلنك في عهد السلطان برقوق في الدولة المملوكية الثانية .

وفي فترة الهدوء والاستقرار التي سادت عهد السلطان الناصر محمد وصلت إلى مصر وفود كثيرة من إفريقيا وغيرها من بلاد الشرق والغرب تحمل الرسائل والمكاتبات من ملوك وولاة تلك البلاد تخطب ود السلطان وتطلب عونه ومساعدته . نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر وقد صاحب دنغلا " آيى " الذى جاء يحمل هدية عظيمة تحتوى على رقيق وهجن وأبقار ونمور وشب وسياج ، وطلب عون

(١) ابن حجر الدرر الكامنة ج ٣ ص ٨٧ .

السلطان ، فجرد معهم عسكرياً يتقدمهم الأمير " طقشبا " حاكم قوص (١) .

وهذه الوفود تدل على مدى الثقة والسمعة الطيبة التي كان قد ظفر بها ملوك وسلاطين هذه الدولة ما حفز الأمم المجاورة ممثلة في ملوكها ورؤسائها أن تخطب ودهم وتطلب خلق علاقات خارجية معهم .

وهذه الثقة الخارجية التي تمتع بها سلاطين هذه القوة في العصر المملوكي الأول لا تنفي أن هناك صراعاً داخلياً على السلطة يشب بين الحين والآخر فقد اختصت دولة المماليك بأنظمة وعلاقات تختطف عن غيرها ، وأهم ما يبدو في توليتهم السلطة هو القوة لا العدل ، فالقوة أساس الملك عندهم ، ومتى ملك أحدهم القوة استطاع أن يثب إلى الملك ويقص السلطان القائم ، ويحد ذلك يستطيع أن يكسب الشرعية ببهجة الخليفة وموافقة أهل الحل والعقد من الأمراء وكبار رجال الدين من الفقهاء والقضاة وغيرهم ، ويبذل السلطان في سبيل ذلك المال والسيف كل في موضعه ، ومتى تولى أحدهم السلطة أصبح في وسعه أن يبطش بأي إنسان حتى ولو كان نائب السلطنة أو أمير العسكر أو الخليفة أو قاضي القضاة أو أحد الناس به وأقربهم إليه متى اشم منه رايحة تمرد أو خشي على ملكه منه .

والقصص التي تدل على ذلك كثيرة ، منها قصة الناصر محمد مع نائبه الأمير تنكز والي الشام فقد تربه إليه ورفع من شأنه وتزوج من ابنته ، لكنه عاد بعد هذا كله وبطش به وسجنه حتى الموت لخشيته على نفسه من قوته ونفوذه .

وكانت وظائف الدولة الكبرى مجالا للصراع بين من يستحق ومن لا يستحق ويستطيع من لا يستحق أن يتسلل إلى الوظيفة بالمال والخداع والتقرب من السلطان ورجاله ويقدم في سبيل ذلك الرشاوي السخية ، وبهذه الطريقة قالوا إن عملاء

الدين بن الأثير استطاع أن يصل إلى وظيفة كتابة السرىشوة السلطان الناصر نفسه ، وذلك أنه ظل يلاحقه بالهدايا من الحلوى والذهب ليقبضه ويعزل كاتبه شرف الدين بن فضل الله الحميرى ، قال ابن حجر :

” فبعث إليه السلطان بقوله له : يا علاء الدين نحن ما نصرف شرف الدين بن فضل الله وإن صرفناه ما نولى إلا علاء الدين بن الأثير فوفر عليك ذهبك بنفسك ” (١)

واستطاع بعد هذا علاء الدين أن يتحايّل لنقل ابن فضل إلى دمشق ويتولى هو منصبه فى القاهرة .

وقد شاعت الرشاوى فى تلك المدة وأثبتها كثير من المؤرخين ، يقول ابن تشرى بردى :

” كان فى دولة الصالح إسماعيل بن الناصر محمد ديوان بصرف ديوان — البذل وشاع ذلك فى الأنظار وصار من له حاجة يأتى إلى صاحب الديوان المذكور ويبذل فيما يرومه من الوظائف ” (٢) . واستطاع قلاح بسيط فى عهد الناصر محمد أن يصل إلى كرسى الوزارة .

وكانت المفاصد وأنهم بعض السلاطين بمحاباتهم للأقباط لأنهم يجمعون لهم المال ويحفظونه على حساب الشعب وأتوا ، فكثر الثروات ومن أشهر ثروات الأعراب ما قام فى سنة ٦٨٥ هـ (٣) من هياج وقتال بين عرب جهينة ورفاعة فى صحراء عيذاب فى جنوب مصر وشرق السودان وقتل فيها عدد كبير ، وكان صاحب سواك مسيطرا على تلك الجهات فكتب إليه السلطان أن يوفق بين الفريقين .

(١) الدرر الكامنة لابن حجر ج ٣ ص ٩٧ .

(٢) النجوم الزاهرة ج ١١ ص ٣٦٣ .

(٣) السلوك ج ١ ص ٧٠ .



وفى سنة ٧٠١ هـ اضطرب الصعيد بثورات العربان قال المقرئى
" وفيها كثر فساد العربان بالوجه القبلى وتعدى سرهم فى قطع الطريق

إلى أن فرضوا على التجار وأرباب المعاش بأسىوط ومنقووط فرائض جيوها ، -
واستخفوا بالولاة ومنعوا الخراج وتسموا بأسماء الأمراء وجعلوا لهم كبيرين أحدهما
سموه بيبرس والآخر سلا ، ولبسوا الأسلحة وأخرجوا أهل السجون بأيديهم " (١) ،
وهذا ما أثبتته ابن تغرى بردى أيضا ، قال :

" وكان السلطان قد أمر بخروج تجريدة إلى الوجه القبلى لكثرة
الفساد من العربان " (٢) .

وفى تاريخ ابن إياس " أنهم تسموا بأسماء الأمراء ولبسوا الأسلحة وأخرجوا
أهل السجون بأيديهم فأحضر السلطان القضاة والفقهاء واستفتاهم فى قتالهم
فأفتوا بجواز ذلك " (٣) .

وفى الشام ضيق نائبها سنة ٧١١ هـ على الناس بدمشق وقرر على
الأملاك أموالا تؤخذ كل شهر ، واجتمع القضاة والخطيب والعمامة وحملوا
المصاحف ووقفوا بسوق الخيل فلما رأهم قال لهم : انقضى الشغل فامتنعوا
فأشار عليهم الحاجب بحصا معه ففروا فبهول الذى يحمل المصحف فسقط منه
فرجموا الحاجب بالحجارة ، وقد انتقم النائب من القضاة فجاء بالقاضى ابن
صبرى وبالخطيب وأخرق بهم " (٤) .

وتعددت الثورات على الممالك حتى زال ملكهم واستراح الناس من ظلمهم
واستثنار بعضهم بالخير والمتعة وترك الفقر والجوع والمرغى يفتك بالناس .

(١) السلوك ج ٢ ص ٩٣٠ .

(٢) النجوم الزاهرة ج ٨ ص ١٥٠ .

(٣) تاريخ ابن إياس ص ١٠٠ .

(٤) المرجع السابق ١٠٣ .

على أن الشرَّ بعضه أهون من بعض * فقد يتحمل الناس الجوع والفقر
في مقابل الاحتفاظ بدينهم وعقيدتهم وأعراضهم محمية من الغزاة المعتدين من تتر
وصليبيين *

فقد كانت جيوش سلاطين المماليك قوة ضاربة أخافت الصليبيين والتتر
على السواء * وخاصة أنهم كانوا يرفعون راية الإسلام ويستظلون بظله الظليل *

في هذا الجو السياسي المضطرب المليء بالمشائعات عاش العالم المورخ
الأديب الشيخ فتح الدين أبو الفتح بن سيد الناس * وقد استطاع بعلمه الخزير
وأدبه الرفيع وأخلاقه العالية التي أكسبته المحبة والتقدير أن يعيش عزيزا مكرما
محبوبا عند الخاص والعام حاكمين ومحكومين على السواء * ويستمر في نشر رسالة
الحلم والأدب ومختلف فنون المعرفة * ويَجْرَى عليه العزق في سهولة ويسر من
جهات متعددة - سلاطين وأمراء *

وهذا ما أثبتته الصفدي حين قال :

" ما رأيت أحدا له مثل حظه ما رآه أحدٌ إلا أحبه كان علم الدين الدواداري
يحببه ويلزمه كثيرا ودخل به إلى المنصور لا جين فرتبه في جملة الموقمين * فرأى
الشيخ الملازمة صعبة فسأل الإغضاء * فقال اجعلوا محلومه راتبا فلم يزل يتناوله
إلى أن مات * وكان الكمالى ينام معه وكان كريم الدين يميل إليه كثيرا وكان أرغون
النائب يتعصب له .. إلى أن قال إنَّ له نَزَقًا بالديار المصرية وراتبا بصفد " (١) *

وكان من العلماء الأجلاء في عصره حتى أن سلاطين المماليك كانوا
يعفونه عن أداء بعض المراسيم التي كان يؤدِّيها عامة الناس والأمراء فسرى
دخولهم على السلطان مثل تقبيل الأرض أو الإيمساء إلى الأرض *
والإنحناء تحية وإجلالا للسلطان *

قال الصفدي :

" حكى لي الشيخ فتح الدين بن سيد الناس أنه لما دخل على
السلطان لم يدعه ييوس الأرض ، وقال :
" أهل العلم منزّهون عن هذا وأجلسه عنده " (١)

* * *

(١) السلوك ٣٨٣/٢ خطبة بدار الكتب .

:: الفصل الثانى ::

عصره الاجتماعى

عند بحث الحالة الاجتماعية فى عصر ابن سيد الناس يلزمننا أن نتصرف على سير الحياة ومشكلات المجتمع من الناحية المعيشية ، والسياسية ، والاجتماعية ، وللحديث عن ذلك فى عصر ابن سيد الناس — عصر الماليك — نستعين بتقسيم طبقات المجتمع الذى أورده المقرئ فى كتابه بهذا الشأن ، والذى صور فيه حظ كل طبقة من السعادة أو الشقاء ، ومن سعة العيش ، أو ضيقه ، يقول المقرئ :

أعلم حرسك الله بعينه التى لا تام أن الناس ياتلم مصر فى الجملة على سبعة أقسام القسم الأول أهل الدولة ، والقسم الثانى أهل اليسار من التجار وأولى النعمة من ذوى الرفاهية والتسم الثالث الباعة وهم متوسطو الحال من التجاره ويقال لهم أصحاب البز ، ويلحق بهم أصحاب المعاش وهم السوقية ، والقسم الرابع أهل الطح وهم أهل الزراعات والحرث وسكان القرى والريف ، والقسم الخامس الفقراء وهم جل الفقهاء وطلاب العلم والكثير من أجناد الحلقة ونحوهم والقسم السابع ذوى الحاجة والمسكنة وهم السوء حال الذين يتكفون الناس ويعيشون منهم " (١) .

وبنظرة فاحصة إلى هذا التقسيم نجد أن فى مقدمة الطبقات أهل الدولة ، وأهل الدولة الذين وضعهم المقرئ على رأس الطبقات الاجتماعية السبع هم سلاطين الماليك والأمراء وأتباعهم من الجنود ، ويدخل فى ذلك القضاة وكبراء الدولة .

وقد ناز أهل الطبقة الأولى بكل شئ وشاركهم التجار وأثرياء الناس ،

ولم يدعوا لغيرهم من سائر الناس سوى ما يتصدقون به عليهم أو ما يكسبونه بمسرق
جيبينهم *

وظائف الماليك على اختلاف طبقاتهم عيش النعيم والرفاهية في قصور
تجمع كل أسباب الترف يزخرفون سقوفها وحيطانها بالذهب (١) *

وقد اهتموا بتنسيقها وتنظيمها وحسن إدارتها ووظفوا لها من يشرف على
ذلك كله *

وتقيم الدور السلطانية منازل الحرم وبها زوجات السلطان وسراياه وقيناته
ومجالسه الخاصة التي لا يحضرها إلا هو وخاصته *

وتقدم حريم السلطان وتقوم عليهن قهومان لها سلطات كبيرة وكثيرة
وقد اشتهرت في هذا الميدان من النساء سيدة يقال لها : السيدة " حدق " *

ويحكى أن الناصر قد جعل لها أمور نساء فتحكمت في دارة تحكما
عظيما حتى أصبحت لا يقال لها إلا " الست حدق " (٢) *

وتنعم الماليك باللباس الفاخر والرياش الناعم من الحرير والديباج
الموشى بالذهب ، وكان السلطان يرتدى في مواعيد الرسمية واستبقالاته ثيابا
أحمره ويركب في الموكب فرسا أصيلا مؤدبه معلمة على المشى على القوس لا تحيد
عنه ويبدو في موكبه حسن الصورة مهيب الطلعة عليه بها الملكة والرفقاسة
والخز فوق رأسه يحمله بعض الأمراء والأكابر (٣) *

يقول ابن كثير يصف موكب بعض السلاطين :

(١) حميد النعم ومبيد النعم للسبكي ص ٦٩ *

(٢) الدرر الكامنة ج ٣ ص ٧ *

(٣) البداية والنهاية ج ١٤ ص ٣٤٤ *

• دخل قلعة دمشق وعليه من أنواع اللباس قبا ز بخارى والقبة الطير
يحملها على رأسه الأمير سيف الدين الذي كان ضائب طرابلس والأمراء مشاة
بين يديه والبسط تحت قدم فرسه ، والبشائر تصرب خلفه * (١) .

وفى سبيل اقتناء الثروة الهائلة ارتكب المماليك المظالم وتعسفوا أيما
تعسف و نكلوا بالناس من فلاحين وأعيان وتجار تكيلا عظيما ، وكان الجند يتولون
الفلاحين بنسروب المصنف لجمع المحاصيل .

وقد علت أصوات خيرة الناس المشفقين على المجتمع بالشكوى ، ومن بسين
هولا * الإمام السبكي ، وما قاله في هذا الشأن :

• فمن حق الله سبحانه وتعالى على الأجناد شكر النعمة باللف بالفلاحين
فلو شاء تعالى لقلب الجندى فلاحا والفلاح جنديا فإذا كان لا يشكر نعمة الله
تعالى على أن رفعه على درجة الفلاح فلا أقل من أن يكفى الفلاح شـره
وظلمه * (٢) .

وأعادوا السخرة فسخروا الناس في أعمال البناء والعمارة وعمل الجسور
وشق الطرق والترع وما إليها .

واشتدت هذه السخرة في عهد السلطان الناصر محمد والناصر حسن

وقد أثبت المقريزى ذلك في حوادث سنة ٧١١ هـ ، قال :

• وفيها كثرت تسخير الناس للعمل في العمائر السلطانية بالقلعة وقبض عليهم
من بين القصرين وهم نيام ، ومن أبواب الجوامع عند خروجهم من صلاة الصبح فابتلى
الناس من ذلك ببلاء عظيم وكثرت الغاشية ووقع الإجهاد في العمل
واشتدت الإستحاث فيه حتى أن الرجل كان يخر إلى الأرض وهو يعمل ليجزه عن
الحركة فتقدم عليه رفقته الرمال فيموت من ساعته واتفق هذا لخلافتي كثيرة جدا * (٣) .

(١) نفس المصدر ج ١٤ ص ٣٨٧ .

(٢) محيد النعم ص ٧٤ .

(٣) السلوك ج ٣ ص ٤٤٦ - ٤٥٠ قسم ٣ .

وكانت قسوة المالك الطابع المميز لحكمهم ، تسوا على الرعية وعلى أنفسهم في بعض الأحيان ، لهذا كثر القتل وعم التآمر خاصة في فترات الإضطراب والقلق ، وسلط الله بعضهم على بعض ، وابتدعوا في التآمر والتعذيب أنواعا متعددة ، ومن بين هذه الأنواع استخدام السم للتخلص من المناصبين ، فكان بعضهم يدمس السم في الطعام على أيدي الجواري والخلمان مقابل قدر من المال بعد إنجاز المهمة .

ومن اشتهر بالقسوة منهم — أرغون شاه نائب دمشق ، فقد روى ابن الوردي في تاريخه أنه كان شديد القسوة مقدما على سفك الدماء قتل بحطب ووسط وسمر وقطع بدويا سبعين قطع بحضرته بمجرد الظن ، وقال فيه ابن السوردي :

” عقلت طرفك حتى * أظهرت للناس عقلك
لو كان دهر يولس * على بني الناس مثلك ^(١) ”

وكان لاساتذنا الجليل ابن سيد الناس صلة وعلاقة بهذا النائب المسمى ” أرغون ” وقد تكون هذه العلاقة من باب التقية ودرء الشر عن النفس والناس ما أمكن ذلك .

فقد ذكر المؤرخون أنه كان يحب ابن سيد الناس ويتعصب له ، وقد ذكر ذلك صاحب الدرر الكامنة على لسان الصفدي ، قال :

” ما رأيت أحدا له مثل حظه ما رآه أحد إلا أحبه ” .. إلى أن قال :
” وكان أرغون النائب يتعصب له ” ^(٢) .

وانخذ سلاطين الممالك أعوانا لهم وأتباعا وقضاة ووزرا وكتابا

(١) فوات الوفيات ج ٣ ص ٨ .

(٢) الدرر الكامنة ج ٤ ص ٣٣٣ .

من أبناء مصر والشام •

نذكر منهم على سبيل المثال — كريم الدين بن عبد الكريم بن هبة الله بن
السديد المصري وكيل السلطان الناصر محمد ومدير دولته ، فقد أحبه السلطان
حتى أسلم إليه كل خزائنه •

قال ابن حجر :

• ومن فخامته : أنه كان يركب في عدة من ممالك نحو السبعين كلهم
يكبايش عمل الدار وطيرز ذهب والأمرأ تركب في خدمته ، وبلغ من عظم
قدره أنه مرض مرة فلما عوفي دخل مصر إلى دار الحقد فزنت له البلد
وكان عدد الشمع ألفاً وستمئة شحمة يوركب حراقة فلاقاه التجار الكارمية ونشروا
عليه الذهب والفضة فتأهبنها النواتية ، ، ، ، ، ولما صدر أمر السلطان بنقل
موجوده إلى القلعة على بقال كان أولها بباب بيته وآخرها بباب القلعة وحمل
من على الأتقال مائة وثمانون قفصاً ثلاثة أيام في كل يوم ثلاث دفعات سوى ما كان
ينقل مع الخدام من الأشياء الفاخرة التي لا يؤمن عليها غيرهم ، ووجد له من النقد
خاصة نحو من ثمانين ألف قنطار ، ومن الأعسال ثلاثة وخمسون الفمطر ، وكان
عدد الصناديق التي فيها المطر من البان والمود والعنبر والمسك واحداً
وأربعين صندوقاً • (١)

وكريم الدين هذا هو أيضاً من خلصاء وأصدقاء ابن سيد الناس ، وكان
يميل إليه كثيراً •

قال صاحب الدرر الكامنة :

• وكان كريم الدين يميل إليه كثيراً • (٢)

(١) فوات الوفيات ج ٣ ص ٨ •

(٢) الدرر الكامنة ج ٤ ص ٣٣٣ •

هذه هي حال الدولة وكبرائها من الوزراء والقضاة ونواب السلطان ، ترف ، وبذخ ، ومتعة ، وكانوا يتقاضون رواتبهم مشاهرة وكان راتب الوزير يبلغ مائتين وخمسين دينارا كل شهر عدا المخصصات الأخرى ، ولبعضهم إعطاعات ، لهذا بلغوا حدًا فاحشًا من الترف والغنى .

وبهذا نكون قد أخذنا فكرة سريعة عن أعيان الطبقة الأولى كما قسمهم المقرئى .

أما الطبقة الثانية وهم أهل اليسار من التجار وأولى النعمة فهؤلاء كانوا يتشبهون بأصحاب الدولة والحكام ، ففى سكنى القصور والتمتع بملاذ العيش وطيبات الحياة ، وجرت بأيديهم الأموال وكانت تخدمهم الجوارى والخلمان .

والقسم الثالث هم الباعة ومتوسطوا الحال من التجار ، وهؤلاء كانوا يعانون من متاعب الحياة ومشكلاتها المتعددة ، ولا يخرجون من مشكلة إلا لتسلمهم إلى مشكلة أخرى ، وذلك لكثرة الكلف وتتبع الولاة وجباة الضرائب لهم ، فأصبح أحدهم لا يرضى بالقليل من الربح لحلمه بكثرة النفقات والتبعات التى تتظفره ، ويلحق بهذا القسم أصحاب الصناعات الصغيرة والمطعمون والكحالون ، وكانوا يقومون بدور الأطباء والصيدلة ، وكان الناس يغشون دكاكينهم لشراء الدواء والاستشفاء .

والقسم الرابع وهم الفلاحون وأصحاب الزراعة والحرث . فحال هؤلاء كانت منهشة ثم انتكسوا لكثرة ما فرض عليهم من الضرائب والأموال وقد يصل بهم الحسد إلى مصادرة أموالهم مضافا إلى ذلك شدة السنين وتوالى المحن وشح النيل .

وبرغم هذا كله قال المقرئى :

" إن فيهم من عظمت ثروته ، وفخمت نصيبته ، ونال ما أرى على مراده .

وزاد على ما أمله .

أما القسم الخامس من طبقات المجتمع وهم الفقهاء ، وطلاب العلم ، ومن يلحق بهم من الشهود ، والكثير من أجناد الحلقة ، ومن شابههم من له عتار أو أجر جارٍ محكوم من السلطان أو غيره ، فهم من بين ميت أو مشته للموت لسوء ما حلَّ بهم .

ويصف المقرئى حالهم بعد توالى النكبات وسوء الحال الاقتصادية بعده عهد الناصر محمد فيقول :

• فَإِنْ أَحَدُهُمْ أَتَتْهُ مِائَةُ دَرَاهِمٍ مِثْلًا أَنْفَقَ مِنْهَا فِي ضُورِيَّاتِهِ مَا يُلْزِمُهُ عَلَى قَلَّةِ قِيَمَةِ الدَّرَاهِمِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ فَلَحَقَهُمْ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ الْقِلَّةِ وَالْخِصَاصَةِ وَسَاءَتِ أَحْوَالُهُمْ • (١)

ويضم القسم السادس والسابع أرباب المهن الصغيرة والأجراء من عمال الصناعة والخدم وأصحاب المسكنة ممن لا يملكون شيئاً من المال ولا يشغلون وظيفة ولا يحسنون عملاً أو يمتنعون مهنة .

وهؤلاء يعيشون عالة على غيرهم من أرباب الحرف والصناعات وأصحاب الثراء والأعيان وأصحاب الأرض ، يحصلون منهم على الأجر لقاء ما يقومون به من الخدمات ، ويجرى عليهم السلطان والأمراء وبعض الأغنياء الرزق الذى يحفظ عليهم أرواحهم فى بعض ساعات الضيق والعسر .

وقد غلب على أهل القاهرة فى تلك الفترة أجناس من الناس اختلطت دماؤهم ، كالأتراك والأكراد والجركس والروم والفرنجة ، وازداد التتار فى هذه الفترة من حكم المماليك فى القاهرة زيادة واضحة لكثرة أسراهم من الحروب ورغبة الأسراء وسراة القوم فى التزوج من الثريات ، قال المقرئى :

"وكانوا صورا جميلة فافتتن بهم الأمراء وتنافسوا في أولادهم من الذكور والإناث واتخذوا منهم عدة صيورها من جملة جندهم وتمسقوهم فكان بعضهم يستتشد من صاحبه من اختر به وجعله محل شهوته ، ثم ما نفّس الأمراء من كان منهم بمصر حتى أرسلوا إلى البلاد الشامية واستدعوا منهم طائفة كبيرة ، فتكاثر نسلهم في القاهرة واشتدت الرغبة من الكافة ففى أولادهم على اختلاف الأهواء في الإناث والذكور " (١) .

وإذا تعرضنا لموقف المرأة بصفة خاصة في المجتمع المملوك فـأول ما نلاحظه أنها لم تكن في الوضع اللائق بها ، فالحجاب مضروب ومفروض على المرأة الحرة أما الجارية فإنها تجول في الأسواق سافرة ويفرض عليها قيود في اللباس والسلوك فقط ، وكانت بعض نساء الطبقات الفقيرة يشتغلن بالخزل والتطريز والزركاش بخيوط الفضة والذهب وظهر بينهن مع ذلك كثيرات ممن اشتغلن بالملم وتصدرن للتدريس مثل زينب بنت مكى وزينب بنت الكمال — توفيت سنة ٧٤٠ هـ . وذكر ابن حجر أنها روت كثيراً وتراحم عليها الطلبة وقرأوا عليها الكتب الكبار " (٢) .

وكانت كثيرات منهن يحملن بالمخاني وضروب الملاهي كالرقص واحترفت فتيات منهن البغاء وخصص لهن أماكن في بعض الأحياء والمدن الكبرى ففى السلطنة كدمشق وغيرها .

وتعقب بعض السلاطين أولئك النسوة من صاحبات المخاني والزواني وضايقوهن وإن تساهل آخرون مهن .

ففى دمشق أمر نائب السلطان " بيدمر " بأن لا تفتى امرأة لرجل

(١) السلوك ص ٨١٣ - ٨١٣ .

(٢) الدرر الكامنة ج ٣ ص ١٦٧ .

ولا رجل لنساء وعلق ابن كثير على ذلك بقوله :

” وهذا في غاية ما يكون من المصلحة العظيمة الشاملة لنفسها “ (١) .

وفي هذا الشأن يقال إن الملك المعز أييبك التركمانى أمر ألا تخرج
فى القاهرة امرأة من بيتها ولا يمشى الرجل بلا سراويل ، فعلق أبو الحسن
الجزار الشاعر المعروف فى ذلك العهد على هذا التصرف الملكى بقوله :

حَنَّ الْمَلِكُ الْمَعَزُّ عَلَى الرِّعَايَا

وَأَلْبَسَهُمْ سَرَاوِيلَ الْفَتْوَةِ (٢)

وفى عهد الظاهر بيبرس سنة ٦٦٣ هـ نودى بالقاهرة ومصر أن المرأة
لا تتعمم بالعمامة ولا تتزيى بزي الرجال ومن فعلت ذلك بعد ثلاثة
أيام سلبت ما عليها من الكسوة . (٣)

ويبدو أن بدعة التزين بلبس الرجال شاعت بين النساء خلاعة ونهتكا .
فصدر مرسوم السلطان بمنعهن عن ذلك ، وفى زمان السلطان الناصر محمد
ويعد أن عم الناس الرخاء استخدم النساء بعض الأزياء والحلي .

قال ابن تيمى بردى :

” واستخدم النساء فى زمانه الطرحة ، كل طرحة بعشرة آلاف دينار
وما دون ذلك إلى خمسة آلاف دينار ، والفرجيات بمثل ذلك واستجد النساء
فى زمانه الخلاخيل الذهب والأطواق المرصعة بالجواهر الثمينة ، والقباقيب
الذهب المرصعة والأزر الحرير وغير ذلك “ . (٤)

(١) البداية والنهاية ج ١ ص ١٦٧ .

(٢) الدرر الكامنة ج ٣ ص ١٦٧ .

(٣) السلوك ج ١ ص ٥٠٣ .

(٤) النجوم الزاهرة ج ٩ ص ١٧٦ .

وفي سلطنة الناصر حسن نودى ألا تلبس النساء الأكمام الطوال العراض
ولا البرد الحرير ولا شئاً من اللباسات والثياب الثينة ولا الأقمشة
الناصر .

وقد شدد في ذلك في الديار المصرية حتى قيل إنهم أغرقوا بعض
النساء بسبب ذلك * (١) .

وقال ابن إياس :

"أبطل السلطان حسن ما أحدثه النساء من القمصان التي خرجت
في كبر أكمامها عن الحد ، وأبطل ما أخرجوه من الأزرق الحرير والأخفاف
الزركش فاشبهوا المنادة في القاهرة بإبطال ذلك فرجعت النساء عن
ذلك " (٢) .

وذكر ابن كثير أن نائب السلطنة في دمشق أمر بأن ينادى في البلد
بأن النساء يمشين في تستر ويلبسن أزهرن إلى أسفل من سائر ثيابهن
ولا يظهرن زينة أبدا ، قال ابن كثير :

" فافتعلن ذلك والله الحمد والمنّة " (٣) .

أما المواسم الدينية فمن أهمها في العصر المملوكى عند المسلمين
المولد النبوى الشريف ، وكان المماليك يهتمون به اهتماما عظيما ويصرفون فيه فنى
بسخ .

ومن المناسبات الدينية التى اهتموا بها موالد الأولياء كمولد السيد -

(١) البداية والنهاية ج ١٤ ص ٣٣٣ .

(٢) تاريخ ابن إياس ١٩٣ .

(٣) البداية والنهاية ج ١٤ ص ٣٨٠ .

البدوى بطنطا ومولد الشيخ الأنباى بانابة •

وصارت أوقات موالد الأولياء عند عامة الناس من جملة أوقات النزهة يتواعدون إليها ويتوجهون أفواجا ولا يقصدون زيارة الأضرحة والتبرك بها وإنما يقصدون اللهو والمرح والنزهة •

وبالمثل النصارى كانت لهم أعيادهم ومواسمهم الدينية ، وهى أيضا كانت مجالا للهو والنزهة والقصف والمرح •

ومن هذه الأعياد عيد النيروز وهو أول يوم فى السنة القبطية فى مصر • وبهذا اختلف عن نيروز الفرس الذى كان يحتفل به فى العراق •

وما يحمل فى ذلك اليوم — كما يرويه المؤرخون — أنه كان يجتمع السواد الأعظم من الناس الأسافل فيقفون على باب الأكابر من أعيان الدولة فيكتسب أمير النيروز وصولات بالجمال الثقال وكل من امتنع عن الإعطاء من الأكابر بهدلوله وسبوه سباً قبيحاً ، وكان الحياق يقفون بالطرقات ويتهاشون بالماء ويتراجمون بالبيض ويقطعون على الناس الطريق ويمتنع الناس عن الخروج إلى الأسواق فى ذلك اليوم ، وكل من ظفروا به فى الطرقات بهدلوله ولو كان أميراً أو من أعيان الناس •

وكان الناس فى ذلك اليوم يتجاهرون بشرب الخمر وكثرة الفسق فى أماكن التفرجات حتى يخرج ذلك عن الحد المحقول •

وكان يحمل فى هذا العيد إلى الأكابر من أعيان الأقباط الهدايا من المأكولات والمشروبات المختلفة ، كالعنب والتمر والخوخ والبطيخ وصحون الحلوى وغير ذلك من طيبات الأشياء •

ومن أعياد النصارى من الأقباط المصريين عيد الميلاد ويقال إنه موسم جليل فى مصر فى تلك العهود يباع فيه من الشموع المزهرة بالأصباغ المليحة

والتماثيل البديعة بأموال لا تحصى فلا يبقى من الناس أحد
أعلاه وأداناهم حتى يشتري من ذلك لأولاده وأهله ، ويعلقون منها
في الأسواق بالحوانيت عدداً كبيراً .

ومن أعيادهم أيضاً عيد الشهيد ، ويذكر ابن إياس أنه " كان
بكنيسة شبرا صندوق من الخشب مقفول بقفل من حديد وبداخله أصبغ
أحد عباد النصارى يسمونه الشهيد ، وكان النصارى يتوارثونه من قديم
السنين ، فإذا كان ثامن شهر يشتم من السنة القبطية أخرجوا
ذلك الأصبغ من الصندوق وغسلوه في نهر النيل ، ويزعمون أن النيل
لا يزيد في كل سنة حتى يلقون فيه ذلك الأصبغ ، ويسمونه عيد الشهيد
ويكون ذلك اليوم عيد ترحل إليه سائر النصارى من جميع القرى وتخرج
عامة أهل مصر من غنى وعلوك وينصبون الخيام على شاطئ بحر النيل
بشبرا وفي الجزائر ، ولا يبقى مثن ولا مثنى ولا ما جن إلا خرج فسي
ذلك اليوم " (١) .

وقد أجمل المقرئ أعياد أقباط مصر منذ الفاطميين فقال :

" ما رأيت قط أجمل من أيام النيروز والغطاس والميلاد والمهرجان
وعيد الشناعين وغير ذلك من أيام اللهو " (٢) .

وفشا في المجتمع في ذلك العهد مفاصد عدة منها شرب الخمر
وعلى الرغم من معاقبة الظاهر ببيس لشاربيها وتكسيره لانيتها وتهديمه
لدورها في مصر والشام إلا أن الناس لم يتخلوا عنها تماماً ، وبلغ من
عقاب الظاهر ببيس لشاربيها - إحناءً للفقهاء ورجال الدين وإقامة
لحدود الشرع إلى حد الصلب .

(١) تاريخ ابن إياس ج ٢ ص ٥٥ .

(٢) خطط المقرئ ج ٣ ص ١٥٥ .

فقد روى أنه قبض على رجل يسمى الكازرونى وهو سكران فأمر بصلبه
فصلب ، وعلقت الجرة والقدح فى عنقه ، فلما عاين أرباب المجون والخلاعة
ما جرى لابن الكازرونى امتثلوا أمر السلطان بالسمع والطاعة ، وقال
شاعرهم :

لقد كان حَدُّ السَّكر من قبل صلبه
خفيف الأذى إذ كان فى شرعنا جلدا
فلما بدا المصلوب قلت لصاحبى
ألا تَبْ فإن الحد قد جاوز الحدا

وقال أبو الحسن الجزار :

قد عَطَّلَ الكوب من حبابه
وأُخْلِى الثَّغر من ربابه
وأصبح الشيخ وهو يبكى
على الذى فات من شبابه (١)

ومن المفاسد التى انتشرت أيضا فى ذلك العهد الحشيش
يدخنونه ويمضغونه ، وكان بعض الناس يأوون إلى بقعة بأرض البطالة
تعرف بالجينة يأوون فيها الحشيش ،

قال المقرئ :

” وهى من أخبث بقاع الأرض يعمل فيها بمعاصى الله عز وجل ،
وتعرف ببيع الحشيشة التى يبتلعها أراذل الناس ، وقد فشت هذه
الشجرة الخبيثة فى وقتنا هذا فشوا زائدا وولج بها أهل الخلاعة والسُخف
ولوعا كثيرا وتظاهروا بها من غير احتشام ، وما شئ فى الحقيقة أقسى
لطباع البشر منها ، ولا شتارها فى وقتنا هذا بين الخاص والعام بمصر

والشام والعراق تعين ذكرها * (١) .

ومن المفاسد التى انتشرت كذلك السرقة بأنواعها العديدة ، فقد انتشر اللصوص وكونوا عصابات ونهبوا أموال الناس وانتهزوا الفوضى التى كانت تتم أحيانا حين يضطرب الأمن ، وظهر من أخطر اللصوص فى عهد السلطان الناصر لص يسمى " ابن سالم " وآخر يسمى " المخدم " قال ابن الوردي :

" ولهما أتباع حرامية كانوا يخطفون الحمايم فأَسَكُوا وسمَّـر بعضهم " (٢) .

ومن المفاسد التى برزت كذلك التَّجيم ، فقد روج المنجمون لأنفسهم ولشغذاتهم وآمن بهم جماعة من عامة الناس بل كثير من خاصتهم وعلى رأسهم السلاطين والملوك والأمراء .

وكان للتَّجيم آثاره على النساء خاصة ، قال ابن كثير فى حوادث سنة ٧٣٣ هـ : " وفى نصف شعبان أمر السلطان بتسليم المنجمين إلى والى القاهرة ففُتِنُوا وحبسوا لإفسادهم حال النساء فمات منهم أربعة تحت العقوبة ثلاثة من المسلمين وواحد من النصارى " (٣) .

ولا استكمال الصورة الإجتماعية لابد أن نلقى نظرة سريعة على الناحية التجارية والناحية السكانية فى ذلك العصر ، فقد كانت القاهرة فى عصر المماليك مركزا كبيرا للنشاط التجارى والعمرانى ويقال إنها كانت من أعظم المراكز العربية فى ذلك الحين وخصوصا بعد سقوط بغداد ،

(١) خطط المقرئى ج ٣ ص ١٣٦ .

(٢) تاريخ ابن الوردي ج ٣ ص ٣٩٠ .

(٣) البداية والنهاية ج ١٤ ص ١٦١ .

فقد خلیفت بغداد فی عظمتها وسعة نشاطها بعد غزو التتار لبغداد ووقوعها فی أيديهم فأصبحت التجارة ترد إلى القاهرة من سائر بلاد المشرق والمغرب وكانت مصر والقاهرة إلى ذلك الحین مدينتين منفصلتين مصر — أو الفسطاط — جنوب القاهرة تطل على النيل وتقابل جزيرة الروضة وبها المسجد المتیق — جامع عمرو بن العاص — تفصلها عن القاهرة بطائج وفضاء متسع من الأرض يمثل من رشح الأرض أيام الفيضان وتمتاز الفسطاط بقدمها وكانت أكثر ازدهاراً بالسكان كثرة العمران مرتفعة البيوت ، ضيقة الدروب والحارات ، وأرقى أماكنها ما كان محيطة بالجامع المتیق إلى النيل ، وكانت هي المدينة الصناعية والتجارية تتركز فيها كثير من الصناعات كصناعة الزجاج والفخار والجلود ويسكنها أصحاب المهن والحرفية من أبناء البلد .

يقول المقريزي :

” والفسطاط أكثر أرباقاً وأرخص أسماراً من القاهرة لقرب النيل منها فالمرائب التي تعمل بالخيرات تحط هناك ويباع ما يصل فيها بالقرب منها وليس يتفق ذلك في ساحل القاهرة لأنه بعيد عن المدينة ” (١) .

وأقيمت القاهرة شمالی الفسطاط بحيث يقع شرقها جبل المقطم يعوق عنها ريح الصبا ، وكانت بعيدة عن النيل وجميعها مكشوف للهواء ولم يكن ارتفاع الأبنية بها بقدر الفسطاط ، وإنما كانت شوارعها أنظف وأبعد عن الأوساخ وأكثر شرب أهلها من مياه الآبار وإن كان بعض السرات يشربون من النيل .

وقد جر المالِك ماء النيل إلى القلعة بقناة تديرها السواني
وترفعها من درجة إلى درجة حتى تصل إلى القلعة .

يقول المقرئ :

” والتاهرة أكثر عمارا واحتراما وحشمة من الفسطاط لأنها أجمل
مدارس وأضخم خانات وهي سكنى الأمراء لأنها قرب القلعة .

وقد اتسع عمران القاهرة أيام الناصر واستند بين القاهرة—
والفسطاط نصار بلداً واحداً يشتمل على البساتين والمناظر والقصور والدور
والرباع والأسواق والفنادق والخانات والحمامات والشوارع والأزقة والدروب
والخطط والحارات والأحجار والمساجد والجوامع والزوايا والربط والمشاهد
والمدارس والحوانيت والمطابخ والبرك والخلجان والجزائر والرياض
والمنزهات ، متصلاً جميع ذلك ببعضه البعض ” (١)

أما التجارة فقد اشتهرت أسواق القاهرة بازدهارها بالتجارة
وعمرانها بمختلف السلع من أنحاء المعمورة ، وهذا ما أثبتته المقرئ في
الصفحات السالفة الذكر حين قال :

” وهي الآن بخير يجيئها من الشرق والغرب والشمال
والجنوب ما لا يحيط بجملته وتفصيله إلا خالق الكل ” .

ولا زدهار التجارة في هذا العصر نشأت طبقة من كبار التجار
عرفت بالكارمية ، احتكروا بعض تجارة السلع المستوردة التي تدر ربحاً
كبيراً ، وفي مقدمتها الرقيق ، فأثروا ثراءً فاحشاً حتى بلغت ثروة بعضهم
أرقاماً خيالية ، كالتاجر اليهودي الأصل عبد العزيز بن منصور الكريسي الذي
قيل إنه كان لديه ستة خدام بيد كل واحد منهم مائة ألف دينار للتجارة ،

ثم ازداد ماله وصار يضرب به المثل في الفنى وكثرة المال وعجز عن حصر أمواله حتى قيل إنه بلغ مكس ما أحضره مرة إلى مصر في سنة واحدة أربعين ألف دينار ، وكان متسماً في نفقائه على خلاف طرائق التجار ، ومات هذا التاجر بالأسكندرية فأخذ كريم الدين الكبير من ماله صندوقاً كبيراً ملوئاً بجواهر نفيسة لا يقدر ثمنها " (١) .

وكان لكبار التجار دور كبير في العلاقات السياسية بين دولة المماليك والدول المجاورة لها ، كالدور الذى قام به التاجر المسمى " سكران " فقد قام بدور السفارة بين الملك الناصر محمد وأحد ملوك التتار وقد وصل الأمر إلى زواج السلطان من ابنة " ازيك " وقد حمل الهدايا إليه من الناصر " (٢) .

كذلك كان للتاجر — مجد الدين السلامى — الفضل في عقد الصلح بين السلطان الناصر محمد والتتار سنة ٧١٣ هـ .

قال ابن الوردي عن هذا الصلح :

" وذلك بحسن تدبير مولانا السلطان وبركة سياسته التى تحيرت فيها الأفكار حتى عاد أسماراً على السنة السمار " (٣) .

وانضمت العلاقات التجارية بين مصر والشام وسائر دول المشرق والبحر المتوسط وأوروبا واستوطنت بعض الجاليات الأجنبية في شوارع مصر وعاصمتها وكان من بينهم تجار من جنوه " (٤) .

(١) الدرر الكامنة ج ٣ ص ٣٨٤ .

(٢) تاريخ ابن الدوادارى ص ٣٠٣ .

(٣) " " " " ص ٣١٣ .

(٤) السلوك ج ٣ ص ١٠٣ .

وكان لبعض التجار الأجانب علاقات خاصة مع بعض كبار
الأمراء ، وكان بعض الأمراء يودعونهم بعض الأموال بفصد التهريب
والهروب إلى بلاد الأفرنج إذا دعا الأمر ، كما فعل الوزير كريم الدين
الذي كان يحترم الفرار إلى بلاد الأفرنج بعد أن أودع مالا كثيرا لبعض
التجار الأجانب وقد كشف أمره قبل الهروب وأُحبط مخططه (١) .

بهذا نكون قد رسمنا صورة مبسطة للناحية الإجتماعية في العصر
الذي عاش فيه ابن سيد الناس .

ففي هذا الجو المشحون بالمشكلات ، وفي هذا المجتمع المليء
بالمناقضات كانت حياة عالما أبي الفتح ، وقد كان مسكنا بالظاهرية
وولى دوى الحديث بها ومدرسة أبي حلية ومسجد الرصد كما ولى
خطابة جامع الخندق وصنف وألف في مختلف العلوم والآداب ، وفي
داره ومحل إقامته بالظاهرية كان يستقبل الأصدقاء والأصحاب وطلاب
العلم والأدب على اختلاف أغراضهم ومقاصدهم .

ومن بين الذين استقبلهم واستضافهم في تلك الدار صديقه
الصفدى فقد أقام عنده في منزله ما يقرب من سنتين فما رأى منه إلا حجاب
الصدر وطيب المعشر وحسن الضيافة .

قال الصفدى :

" وأقامت عنده بالظاهرية قريبا من سنتين فكنت أراه يصلى كل
صلاة مرات كثيرة فسألت عن ذلك فقال لى : خطرتلى أن أصلى كل
صلاة مرتين ففعلت وسهل على ثم ثلاثا ففعلت ثم أربعا ففعلت : قال
وأشك هل قال خمسا (٢) .

(١) تاريخ ابن الدوادارى ص ٣١٥ .

(٢) الدرر الكامنة ج ٤ ص ٣٣٤ .

ويقال إنه كان طيب القلب ظاهر النفس لا يحمل هما ولا
حقدا بساما صاحب دعاية ومرح ، مما زرع له المحبة في قلوب كثير
من الناس ، وقد شهد له بذلك كبار المؤرخين والمترجمين ، قال
الذهبي :

" وكان طيب الأخلاق بساما صاحب دعاية ولعب (١) ، كسا
مباشرا لا يحمل هما " .

وقال عنه البرزالي :

" كثير التواضع طيب المجالسة خفيف الروح كسا ... محبا
لطلبه الحديث ... " .

من كل ما تقدم نشعر بوجود ابن سيد الناس الإجتماعي ومشاركته
الفعلية في الحياة الإجتماعية في عصره وبذل مواهبه وطاقته العلمية
والأدبية في سبيل رفعة المجتمع والأخذ بأيدي الآخرين .

* * *

:: الفصل الثالث ::

~~~~~

#### عصره الثقافي

الحديث عن عصر ابن سيد الناس من الناحية الثقافية يجعلنا نتناول جوانب الثقافة المختلفة المتعددة ، كالتعليم والمدارس والبيئات الثقافية والعلوم على اختلاف أنواعها ، ومشاهير العلماء والأدباء وكل ما يمت إلى الثقافة بصلة .

قلنا فيما سبق أن مصر ورثت العراق في الزعامة السياسية بعد سقوط بغداد سنة ٦٤٨ هـ وبانتقال الزعامة السياسية انتقلت إليها كذلك الزعامة الثقافية والفكرية والحضارية فأصبحت القاهرة خليفة بغداد منذ منتصف القرن السابع وطوال قرون طويلة تالية .

ويؤيد ذلك هجرة العلماء ، والأدباء من مشرق العالم العربي والإسلامي إلى مصر ، فزادوا شهرة وألقوا ودرسوا في مصر في هذا العصر وانتشرت الثقافة الإسلامية المصرية وعمت أرجاء كثيرة من العالم .

ونذكر من هؤلاء العلماء والأدباء الوافدين من المشرق بعض المشهورين منهم :

فقد كان من بين الوافدين الخطيب القاضي جلال الدين القزويني وسعد الدين التفتازاني ، والتبريزي ، وصفي الدين الحلبي ، وغيرهم .

وقد ماثل هجرة المشرق هذه هجرة من المغرب أيضا ، فقد أصبحت مصر محطاً لرحال كثير من علماء المغرب والأندلس .

ومن وفدوا إليها من الأندلس من أكابر العلماء الفقيه المحدث الحافظ أبو عمرو محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله البجوري الربيعي ،

والد الشيخ فتح الدين ابن سيد الناس — الذى نحن بصدده الحديث عنه وعن عصره الثقافى \*

فقد قال صاحب الدرر الكامنة :

" وكان أبوه قدم الديار المصرية ومعه أمهات من الكتب كصنف ابن أبى شيبة ومسند ومصنف عبد الرزاق والمحلّى والتمهيد والاستيعاب والاستذكار وتاريخ ابن أبى خيثمة ومسند البزار " (١) .

ومنهم أيضا ابن دحية المحدث صاحب المطرب فى شعر أهل المغرب ، وابن سراق الشاطبي الأندلسى الذى ولى مشيخة دار — الحديث الكامنة إلى حين وفاته سنة ٦٦٣ هـ وكان أحد الأئمة المشهورين بفزارة الفضل وكثرة العلم " (٢) .

وابن سعيد على بن موسى العالم الأديب الذى توفى سنة ٦٧٣ هجرية وقد جاء من المغرب وجال فى الديار المصرية والشام والمغرب وجمع وصنف والتقى بكثير من أجلة علماء مصر وأدبائها وترجم لهم ونقل عنهم فى كتابه المشهور : " المغرب فى حلى المغرب " (٣) .

وابن منصور على بن مومن الحضرمى الأشبيلي حامل لواء المربية بالأندلس ، والشرشى محمد بن أحمد النحوى الأندلسى المتوفى سنة ٦٨٥ هـ جاء من المغرب وطاف البلاد وسمع الحديث ببغداد ودمشق وحلب والقاهرة وجمع ودرس بمدارس تلك البلاد ، وفى دمشق درس بالرباط الناصرى والنورية ، وفى القاهرة درس بالفاضلية ثم استقر بسين

---

(١) الدرر الكامنة ج ٤ ص ٣٣٠ ط دار الكتب .

(٢) النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٣١٦ .

(٣) نفح الطيب ج ٣ ص ٣٩ .

دمشق وبيت المقدس وتتلذذ عليه ابن تيمية وألف شرحاً جليلاً لابن  
معطى وكتاباً فى الإشتقاق (١) .

ومنهم جابر الضرير صاحب البديعية المعروفة وله كتاب  
فى نقد الشعر، ومنهم أثير الدين الأديب المشهور العالم النحوى  
المعروف، ومنهم أبو القاسم محمد بن أحمد الشريف الحسينى المتوفى  
سنة ٧٦١ هـ وقد كان آية الله فى العربية والبيان والأدب (٢) .

ويتوافد العلماء والأدباء من الخارج وامتراجهم بعلماء وأدباء  
مصر أصبحت القاهرة وبعض المدن المصرية عامرة بدور العلم والعلماء  
حافلة بمجالس المعرفة والأدب .

وكان اهتمام الناس بالكتب أمراً يستدعى الانتباه فانتشرت  
أسواق الكتبيين والوراقين ، وكذلك الحال بدمشق .

ويذكر المقرئى أن سوق الكتبيين احترقت بدمشق سنة ٦٨١ هـ  
واحترق فيها لواحد من الكتبيين وهو شمس الدين ابراهيم الجزرى خمسة  
عشر ألف مجلد سوى الكرايم (٣) .

وبانتشار أسواق الكتبيين والوراقين انتشر العلم وازدهرت  
مجالس الأدب .

وعلى أثر ذلك نشطت حركة إنشاء دور العلم فأنشأ السلاطين  
والملوك المدارس وأوقفوا الأوقاف وعمروا المساجد ورتبوا الرواتب للعلماء  
والفقهاء وخطباء المساجد وأجروا النفقات على طلبة العلم والمنقطعين  
للعبادة .

---

(١) بغية الوعاة ١٨٥ .

(٢) نوات الوفيات ج ٣ ص ١٧٨ .

(٣) السلوك ج ١ ص ٧٠٩ .



نذكر من هذه المدارس مدرسة الظاهرية التي أنشأها سنة ٦٦١ هـ وأنشأ بها خزانة كتب عظيمة ومن أقدم المدارس التي لها تاريخ غارب في القدم والأطالة والعظمة جامع عمرو بن العاص بالقسطاط وكانت تعقد فيه حلقات للدراس في المذاهب الأربعة وله مكانة خاصة في نفوس الناس وحرص السلاطين على الإهتمام به وتجديده (١) .

وكذلك جامع ابن طولون الذي اهتم به سلاطين الماليك أيضا وأمر السلطان لاجين بتجديده سنة ٦٩٦ هـ قال المقريزي :  
” وتقدم السلطان إلى علم الدين سنجر الدواداري بمصارعة الجامع الطولوني وعين لذلك عشرين ألف عينا ، فحصره وعمر أوقافه وأوقف عليه الأوقاف ورتب فيه درس تفسير وحديث نبوي وأربعة دروس فقه على المذاهب الأربعة ودرسا للطب وشيخ ميعاد ومكتب سبيل لقراءة الأيتام القرآن ” (٢) .

ومن المدارس التي لها دور كبير في التاريخ العربي والإسلامي الجامع الأزهر الذي بناه جوهر الصقلي بأمر المعز سنة ٣٥٩-٣٦١ هـ وظل منذ بناه جامعة إسلامية وعربية يقصدها الطلاب من أنحاء العالم المختلفة فيجدون فيه زادا لحقولهم وأرواحهم المتعطشة لطلب العلم والمعرفة فينهلون من معينه الفياض ما شاء الله لهم أن ينهلوه ويجري عليهم السرى دون غناء حتى يمكنهم مواصلة الدرس والتحصيل .

وازدهر الأزهر في عهد الماليك وتولى التدريس فيه جماعة من

(١) النجوم الزاهرة ج ٨ ص ١٠٧ .

(٢) إرشاد الأريب ج ٤ ص ٣٨٩ .

كبار العلماء والقي ابن علاء الله السكندري حكمه ومواعظه فيه .

ومن المدارس التي أُقيمت في ذلك العهد العزبة : فقد بناها  
عز الدين ابيك التركمان مطلة على النيل بمصر القديمة .

ومنها أيضا مدرسة الظاهرية التي بناها السلطان الظاهر  
بيبرس البندقاوى في منطقة بين القصرين وكمل بناءها سنة ٦٦٣ هـ وجعل  
بها خزانة كتب جليلة وبنى بجانبها مكتبا للسبيل وقرر لمن فيه من  
أئمة المسلمين الخبز كل يوم والكسوة في فصلى الشتاء والصيف ، وكان  
أبو الفتح بن سيد الناس من الذين تولوا تدريس الحديث الشريف بهذه -  
المدرسة فيما بعد (١) .

ومنها كذلك مدرسة السلطان حسن بالقلعة وأصبحت فيما بعد  
من أغنى مدارس القاهرة وأفضها في ذلك العهد وقد قالوا إن إيوانها  
بنى على قدر إيوان كسرى أنوشروان في الطول والعرض .

وهذه المدرسة تشتمل على أربع مدارس لكل شيخ مذهب  
مدرسة تختص به .

قال ابن حجة بمناسبة بنائها :  
”لسنا وإن كرمنا أوائلنا  
يوما على الأنساب نتكلم  
نبني كما كانت أوائلنا تبنى

ونفعل فوق ما فعلوا (٢)

هذه بعض المدارس والمنشآت التي تتمثل فيها النهضة العلمية  
والثقافية في ذلك العصر نذكرها على سبيل المثال لا الحصر ، بقى أن

(١) البداية والنهاية ج ١٣ هـ ٣٤٣ .

(٢) تاريخ ابن اياس هـ ٣٠٤ .

نأخذ صورة عن كانوا يدرسون فيها وعن الدراسة كيف كانت تسير .

فقد روى لنا مؤرخو تلك الفترة أنه كان يقوم بالتدريس فى هذه المدارس شيوخ ومدرسون ومعيدون ، والشيخ هو استاذ المادة يساعد المدرس ، ويعيد المعيد درس الشيخ لتفهم الطلاب .

يقول السبكي :

” وعليه قد رُزئت على سماع الدرس من تفهيم بعض الطلبة ونفهمهم وعمل ما يقتضيه لفظ الإعادة وإلا فهو كالتقيه سوا” فما يكون قد شكر الله على نعمة الإعادة . ويقوم بتسجيل درس الشيخ كاتب الغيبة . وكانت العادة أن يجلس الشيخ على كرسي عال ويتحلق الطلبة حوله حلقة ينقسمون فيها إلى مراتب هى — المبتدى — والمفيد — والمنتهى (١) .

ولما كان الغالب على هذا العصر من أنواع العلوم — العلوم الدينية فقد تصدرت علوم القرآن والتفسير والحديث والفقه والأصول وما يتصل بها من العلوم اللغوية ، ونبغ فى كل هذه العلوم جماعة من مشاهير العلماء وأهل اللغة .

نذكر منهم الدمياطى — الشيخ شرف الدين عبدالمؤمن ابن خلف الحافظ العلامة النسابة المشهور ، كان حجة فى علم الحديث وصاحب تصانيف عديدة ولد سنة ٦١٣ هـ بقرية تونة ببخيرة البرلس بجوار مدينة دمياط ، واشتغل بدمياط وسمع الحديث وأخذ بالاسكندرية من أصحاب السلفى وبالقاهرة من جماعة ، ولازم الحافظ المنذرى حتى صار محيدا وتخرج عليه وأتقن علم الحديث دأرية وراوية وسمع منه خلائق بمصر ومكة وحلب وحماة ودمشق والعراق ، وتالوا فيه أنه آخر من

من بقى من الحفاظ وأهل الحديث ، وقد أخذ عنه جماعة من  
أعلام العصر منهم أبو الفتح بن سيد الناس - ومنهم أيضا محبى  
الدين النووى وقد طال عمره وتفرّد بأشياء وتوفى بدمشق سنة ٧٠٥ هـ (١)

ونبغ فى علوم القرآن والتفسير جماعة ، منهم عز الدين بن عبد السلام  
٥٧٢ هـ - ٦٦٠ " الذى صنف كتابه المشهور - الإِشارة إلى الإِيجاز  
فى بعض أنواع المجاز (٢) .

ومنهم ابن النقيب جمال الدين محمد بن سليمان " توفى سنة  
٦٩٨ هـ " وكان صالحا زاهدا درس بالعاشورية بالقاهرة ثم بالجامع  
الأزهر ، وصرف همه الى التفسير وصنف تفسيراً حافلاً فى خمس  
مجلدات ذكر فيه أسباب النزول والقراءات والإِعراب واللغات والحقائق  
وعلم الباطن (٣) .

ومن اشتهروا فى علم الحديث من كبار المحدثين والحفاظ ابن  
دحية الأندلسى الأصل الذى ولى الكاملية زمنا ثم صرفه الملك الكامل ،  
وكان بصيرا بالحديث متفنا له مصروفا بال ضبط مع حفظ وافر فى اللغة (٤) .

ومنهم القسطلانى - شرف الدين أحمد بن محمد بن أحمد  
ابن على بن العلامة قطب الدين ، ولد بمصر سنة ٦٤٨ هـ وسمع عن جماعة  
وعن والده وعن ابن عساكر ويحقوق الطبرى وابن دحية وحديث

- 
- |     |                           |
|-----|---------------------------|
| (١) | الدرر الكامنة ج ١ ص ٤١٨ . |
| (٢) | نوات الوفيات ج ٣ ص ٤٣١ .  |
| (٣) | نوات الوفيات ج ٣ ص ٤٣١ .  |
| (٤) | النجوم الزاهرة ٣٥٨ / ٦ .  |

بقوم والقاهرة ومكة وتوفى سنة ٧١٤ هـ (١) .

والقيسراني - فتح الدين أبو محمد عبد الله بن عز الدين -  
عنى بالحديث وروى عنه الديماطى وابن سيد الناس والبرزالى والذهبي  
وجمع وألف كتباً فى معرفة الصحابة ، وخرج لنفسه أربعين حديثاً (٢) .

ومن العلماء فى مصر والشام فى هذا العصر من اقتصر على الإلمام  
ببعض الحديث والتبحر فى علوم اللغة والأدب والفقه والسيرة النبوية .

منهم ابن بنت الأعز عبد الوهاب بن خلف قاضى القضاة  
بالديار المصرية ، تولى مشيخة الشيوخ وبعض المناصب كالقضاء والسوزارة  
وكان فقيهاً بارعاً وشاعراً متمكناً ودرس بمدارس القاهرة كالصالحية  
والشافعية \* قبة الشافعى \* والشرقية والمشهد الحسينى وتولى خطابة  
الجامع الأزهر وتقدم عند السلطان الملك الظاهر وعزل فى عهد الأشرف  
عن القضاء ثم أعيد إليه بعد وفاته ، وتوفى ابن بنت الأعز سنة ٦٩٥ هـ ،  
ودفن بسفح المقطم (٣) .

ومنهم ابن الرفعة \* نجم الدين أحمد بن محمد بن على المصرى  
الشافعى ولد سنة ٦٤٥ هـ قال ابن حجر :  
" واشتهر بالفقه حتى صار يضرب به المثل وإذا اطلق الفقيه  
انصرف إليه من غير مشارك مع مشاركة فى اللغة العربية والأصول " (٤) .

ومنهم ابن دقيق العيد ، تولى الدين محمد بن مجد الدين  
بن على بن وهب المنظوطى الفقيه الشافعى قاضى القضاة ولد سنة ٦٢٥ هـ

- 
- |     |                      |
|-----|----------------------|
| (١) | النجوم الزاهرة ٣٢٣/٧ |
| (٢) | شذرات الذهب ١٣٣/٦    |
| (٣) | النجوم الزاهرة ٣٢٣/٧ |
| (٤) | الدرر الكامنة ٣٨٥/١  |

وتوفي سنة ٧١٢ هـ وكان مالكا ثم انتقل إلى مذهب الشافعي وصار من أئمة العلماء في المذهبين ، ودرس بالإمام الشافعي ودار الحديث الكاملية ، وصنف التصانيف المشهورة كالإمام في الحديث والاعتراح في أصول الدين ، وشرح مختصر ابن الحاجب في فقه المالكية ولم يكمله ، قال فيه عز الدين بن عبد السلام :

”ديار مصر تفخر برجلين في طرفيها ابن المنير بالاسكندرية وابن دقيق العبد بقوس . وذكر الصفي أنه كان مغرما بالكيمياء وأنفق فيها مالا كثيرا وعمره ، وله ديوان شعر جيد ، وروى عنه جماعة من كبار رجال العصر كابن سيد الناس <sup>(١)</sup> والخنوي وغيرهم .

ومنهم ايضا ابن سيد الناس أبو الفتح فتح الدين محمد بن محمد اليمصري الإمام الحافظ الأديب المشهور ، وهو أشبلي الأصل وقدم إلى مصر بصحبة والده <sup>(٢)</sup> وتعلم بمصر والثمام ، قال الذهبي :

”ولعل مشيخته يقاربون الألف “ وكان طيبا ساما صاحب دعاية ولعب صدوقا حجة فيما ينقله ، وقال عنه البرزالي كان أحد الأعيان اتقاناً وحفظاً للحديث فقيها في علله وأسانيده عالما بصحيحه وسقيمة مستحضرا للسيرة له حفظ من العربية حسن التصنيف صحيح العقيدة سريع القراءة له الشعر الرائق والنثر الفائق ، يقول عنه ابن فضل الله :

”كان أحد أعلام الحفاظ ، وإمام أهل البلاغة الواقفين بمكاظ بحر مكنار ، وخبير في نقل الآثار ، صنف السيرة النبوية واشتهر في عصره وله ديوان شعر في المدح النبوي الشريف <sup>(٣)</sup> .

(١) طبقات الشافعية ج ٩ ص ٢٠٨

(٢) الصحيح انه ولد بالقاهرة بعد وصول والده اليها .

(٣) الدرر الكامنة ج ٤ ص ٣٣٣ .

ومنهم آل السبكي وهم جماعة توارثوا العلم والأدب من بيت  
مصرى عريق من بلد السبك المصرية بمدينة الشرقية ، وتنسب هذه  
الأسرة إلى الخزرج ورأسها هو : ضياء الدين على بن تمام بن حامد بن  
يحيى الانصارى الخزرجى السبكى وكان قاضيا ومنها زين الدين السبكى  
أبو محمد عبد الكافى بن ضياء الدينى وكان قاضيا ومحدثا انتقل من سبك  
الى القاهرة وأقام بها يحمل بالتدريس واشتغل بالحدِيث ثم انتقل الى  
المحلة حيث توفى سنة ٧٣٥ هـ ومنها تقى الدين السبكى على بن عبد الكافى  
ابن زين الدين ولد سنة ٦٧٣ هـ وتوفى سنة ٧٥٦ هـ وهو من اشهر  
رجال هذه الأسرة ومن أعيان العصر ، وقد ولد ببلدة السبك وانتقل  
مع والده الى القاهرة حيث تلقى تعليمه فأخذ عن والده وعن جماعة من  
الشيوخ كابن بنت الأعز وعلم الدين العراقى وتقى الدين الصائغ والدمياطى  
والساجى وابن حيان وغيرهم ، وكان عالما محدثا قاضيا فقيها مفسرا للقرآن  
منطقيا نحويا إلى غير ذلك .

وهذه اللوحة السريعة نكون قد أخذنا فكرة عن مشاهير العلماء  
والأدباء وقيادتهم الرشيدة لسفينه الحضارة والثقافة فى هذا العصر حتى  
أرسوا السفينة على شاطئ الأمان وسلموا الراية لجيل آخر من الرواد .

ولتتكمّل صورة الحياة الثقافية فى هذا العصر لابد أن نأخذ  
فكرة عابرة عن ظاهرة الطرق الصوفية ، والمدائح النبوية ، والمواعظ والحكم  
— وذلك لبروز هذه الظواهر بشكل أكثر وضوحا فى هذا العصر ، فقد  
انتشرت الصوفية انتشارا واسعا وتغلغلت فى أوساط الناس ، وتعددت  
اسماؤها وأسماء رجالها واعترف بها رجال الدولة الحاكون فقربوا شيوخها  
ومريديها ومنوا لهم الزوايا والرباطات لإيوائ الفقراء منهم والصرف عليهم  
وعدوا ذلك بركة وتقربا الى الله .

ومما يروى عن اعتقاد السلاطين فى رجال الصوفية أن السلطان

لاجين كان يعتقد فيمن يسمى الشيخ محمد بن مسعود القرنى شيخ الصوفية فى رباط سعيد السعداء وكان يعظمه <sup>(١)</sup> وكان أولئك الشيوخ يدخلون فى روع السلاطين أن بمقدروهم الكشف والإتيان بالـخوارق ومن هنا اهتم السلاطين ببناء خانقاه للصوفية ووضعت شروط لمن يدخلها ويقيم بها ، وجعل على كل خانقاه شيخ لها سمي شيخ الشيوخ .

ومن أشهرها فى العصر المملوكى خانقاه سعيد السعداء وكان شيخها أئما كبير شيوخ الصوفية وله مكانة جليلة تقرب من مكانة قاضى القضاة وخطيب المسجد الجامع .

ومن بنى منهم خانقاه السلطان بيبرس الجاشنكير ، له خانقاه بالقرب من باب النصر كان بها أربعمائة صوفى <sup>(٢)</sup> .

ومنى السلطان الناصر محمد خانقاه سرياقوس سنة ٧٢٥ هـ واهتم ببنائها اهتماما عظيما ، وخرجت القضاة والمشايخ والصوفية إليها ، وعمل ورتب عنده مائة صوفى ورسم للشيخ بخلعة وأن يلقب بشيخ الشيوخ وخلع على جماعة من الشيوخ وفرق من الذهب والفضة على المشايخ نحو ثلاثين ألف درهم <sup>(٣)</sup> .

ومن النظم السائدة فى هذه الرباطات أن شيخ الرباط يقوم على تربية المريدين على نكران الذات وتحمل الشدائد والرياضة الروحية وممارسة العبادة والالتزام بسلوك وأدب معين ، وهذا يصبح الرباط مكانا منقطعا للرياضة الصوفية ، فيه يجتمع الفقراء حول الشيخ يدرسه

(١) الدرر الكامنة ج ٤ ص ٣٥٧ .

(٢) تاريخ ابن الوردي ج ٣ ص ٣٧٨ .

(٣) الدرر الكامنة ج ١ ص ٣٢٩ .



ويأخذ بأيديهم في الطريق ، ويقوم العمل فيه على نظام صارم في الحياة والعبادة والذكر ولهم فيما بينهم لغة يفاهمون بها ولا يدرك مراميها سواهم أو من ألم من معتقداتهم بطرف ، ومن هذا المنطلق شاعت فلسفة احتقار الدنيا في كتابات العلماء والنسك ، قال تاج الدين السبكي :

" فأقل درجات العالم أن يدرك حقارة الدنيا وخستها و -  
وكدرتها وانصرامها ، وعظم الآخرة وصفائها ودوامها وأن يعلم أنهما متضادان وأنهما ضربتان متى أرضيت واحدة اسخطت الأخرى (١) .

ومن مثل هذه المفاهيم انطلقوا وقالوا في التصوف :

" هو يفضلك الدنيا حياً في الله أو هو موتك في نفسك  
كي تحيا في الله " .

وقد سلكت الصوفية في الوصول إلى هدفها المنشود طريقين :  
طريق الزهادة والتقشف والفقر والإعراض عن الدنيا ومهجتها - وطريق  
الإخلاص والتفاني في العبادة وصفاء النفس حتى يبلغ المرتبة المرجوة .

ومنظرة فاحصة منصفة إلى الصوفية في ذلك العصر نجد منهم  
محقين وصادقين ومخلصين في دعوتهم وزهدهم وتقانيهم في محبوسهم ..  
ومنهم أدعياء مقلدين منتفعين محتالين يتظاهرون بالنسك والتعبس  
لكنسب الرزق والاستيلاء على عقول البسطاء والجهلاء من الملوك والرؤساء  
والعامّة .

والمخلصين هم الذين يتمشى سلوكهم مع الشريعة الإسلامية  
ولا يتعارض مع نصوصها بل يتخذها منهجاً وطريقاً له ولا يأتون فسى

أعمالهم وأقوالهم بشئ. يقول إلى نساد العقيدة مثل القول بالحلول والاتحاد وغيره .

ومن أمثلة المخلصين الشيخ الجنيد رضى الله عنه شيخ الصوفية وإمامهم علما وعملا وكل من اتبع طريقته وسار على نهجه ، وفى كلام السبكي ما يؤيد ذلك حيث قال : " وطريقهم كما قال شيخ الطائفة أبو القاسم الجنيد رضى الله عنه : طريقنا هذا مضبوط بالكتاب والسنة " .

وقال : " الطريق مسدود على خلق الله إلا على المفتين آثار الرسول صلى الله عليه وسلم .

أما الذين يشطحون ولا يراعون الاعتدال فى دعواهم ويتهاونون فى اتباع الكتاب والسنة ويتناولون على مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على اعتبار أن الرسائل والتكاليف لا تقع على أهل الحقيقة ولكنها لحامسة الناس ممن لا يستطيعون ولا يملكون طريقة الحقيقة واتخذوا من قصة موسى مع الخضر فى القرآن دليلا على معتقدهم لأن الخضر هو صاحب الحقيقة عندهم وموسى هو صاحب الشريعة ، هؤلاء هم الخارجيون على الطريقة الصوفية السليمة ويمكن أن نسميهم وعقيدتهم دخلاء على الإسلام ومعتقداتهم ، وعلى العقلاء مقاومتهم ومناهضة دعوتهم الفاسدة .

ومن هذا الجانب اختلطت الأمور وأصبح مفهوم الصوفى والصوفية عرضة لكثير من الخلافات والنزعات حتى قال الشيخ تقي الدين السبكي " الصوفى من لزم الصدق مع الحق والحق مع الخلق ، وأنشد :

تنازع الناس فى الصوفى واختلفوا  
قد بدا وظنوه مشتقا من الصوف

ولست أمتنع هذا الاسم غير فنى

صافى فصوفى حتى سمى الصوفى

وقد كثرت ادعاءات التصوف للحيش والإلباس على الناس  
على الناس وقد لبس كثير من الأدعياء الصوف والمرقعات تشبيها من غير  
عمل ، وهؤلاء يقول فيهم الإمام الشافى رضى الله عنه " رجل أكول  
كثير الفضول " .

وقال الإمام أبو المظفر السمانى " نَعُوذُ بِاللّٰهِ مِنَ النَّارِ وَمِنَ  
الصُّوفِ إِذَا عَرَفَ الدَّارَ "

وقال أبو حيان فى أدعياء الصوفية : " أكله بطله سوطلة لا شغل  
ولا مشغلة " .

وقيل فيمن يُظهِرُ التصوف وَيُخْفِى فاسد العقيدة : " رجل  
يظهر الإسلام ويخفى فاسد العقيدة فى نهاية الإقدام ، وفى رجله  
جمجم وعذبتهم من قدام ، ويكون غالبا من بلاد الاهجام ،

وقال الشاعر :

ليس التصوف لبس الصوف ترقصه

ولا بكاؤك إن غنى المفنونا

وذكر المقرئى أدعياء التصوف لكثرتهم فى ذلك المهد واشتباها  
أمرهم على الناس قال : " قوم ممن المفتونين لبسوا لبسة الصوف لينسبوا  
إليهم وما هم منهم فى شئ بل هم فى غرور وغلط يتشبهون بلبس الصوف قَوِّقِيَا  
تارة ودعوة تارة أخرى وينهجون مناهج أهل الإياحة ويزعمون أن ضمائرهم  
خلصت إلى الله تعالى وأن هذا هو الظفر بالمراد ، والاتسام بمراسم الشريعة  
رتبة الحوام والقاصرى الأفهام وهذا هو عين الإلحاد والزندقة والابعداد "

قال :

" ذهب والله ما هنالك وصارت الصوفية كما قال الشيخ فتح الدين محمد بن محمد ابن سيد الناس :

ما شروط الصوفى فى عصرنا اليه  
— سوى ستة بغير زيادة  
وهى نيك العلوق والسطلة  
والرقص والغنا والقيادة  
وإذا ما هذى وأيدى اتحادا  
وحلولا من جهلة وأعاده  
وأتى المنكرات عقلا وشرعا  
فهو شيخ الشيوخ ذو السجادة (١)

وقد وصف الصفدى هيئة أحد رجال الصوفية فقال :  
" شيخٌ مُصَيَّنٌ فقير حشوف ، مكشوف الرأس منقوش الشعر عليه  
دلق رقيق بالى الخلقة رقيق ، قد تمكن منه الوسخ ، ونبت فيه ورسخ  
قد جمعه من عدة رقاع له مدناة يستدفئ بنارها " .

هذا من الناحية التاريخية والسلوكية لظاهره التصوف والصوفية .

أما الناحية الأدبية فقد اتخذ الصوفية الشعر وسيلة للتعبير  
عن أحاسيسهم ومشاعرهم ومواجدهم والشعر أقدر بطبيعته على التعبير  
عن المواجد ونقلها إلى مشاعر الآخرين من النشر .

واشتهر فى القرن السابع والثامن جماعة من كبار شعراء الصوفية  
وعلى رأسهم ابن الفارض وابن عربى والسروجى ، وغيرهم ، وكانت لهم قصائد

— ولا زالت حتى الآن — تسلب العقول في الحب الإلهي •

ومن هذه القصائد قصيدة الشيخ تقي الدين السروجي

والتي يقول فيها :

أنعم بوصلك لي فهذا وقته

يكفى من الهجران ما قد ذقتَه

أنفقت عمري في هواك وليتني

أعطى وصولاً بالذي أنفقتَه

يامن شغلت بحبه عن غيره

وسلوت كل الناس (١) حين عشقتَه

وإذا كانت ظاهرة الحب الإلهي والوجد والعشق قد غلبت على الشعر الصوفي في ذلك العصر ، فهناك ظاهرة أخرى في هذه المرحلة ناقست هذه الظاهرة وخصوصاً في القرن السابع الهجري وهي : المدائح النبوية واتخاذها سبيلاً للتعبير عن الحب الخالص الحميق ، ومن أبرز الذين اختطوا طريق المدائح النبوية في الشعر الصوفي — البوصيري — مجيد بن سعيد بن حماد صاحب قصيدة — البردة — النبوية المشهورة ، وتقع بردة البوصيري في مائة وأثنين وثمانين بيتاً وبينها وبين ميمية ابن الفارض تشابه كبير في الوزن والقافية وكثير من المعاني كأسماء الأمكة في الحجاز والجزيرة الحربية •

وقد اقتفى أثرهما ونهل من منهلها كثير ممن جاؤا بعدهم من عاشقى مدح النبي محمد صلى الله عليه وسلم منهم الشيخ محمد بن محمد ابن سيد الناس في ديوانه المخطوط المسمى " بشرى اللبيب بذكرى الجبيب "

وجميع قصائد الديوان في مدح النبي صلى الله عليه وسلم ومجانيته  
الكرام \*

أما الموعظ والحكم فأنا نلتقي بها عند ابن عطاء الله السكندري  
فقد اشتهر هذا العلم بحكمه العظيمة التي تمتاز بالأسلوب الجميل  
والعبارات المشرقة التي تنساب في النفس فتكسيها الطمأنينة واليقين  
والإيمان \*

وحكمه في جملة مجموعة من الجمل ذات الفقرات القصار لم—  
أغراض ومعاني مختلفة وأسلوبها أسلوب عربي متميز فيه الإلتفات وتنويع  
الخطاب وغالباً ما تتجه إلى المرید فتخاطبه خطاب المفرد وتزدان  
أحياناً بالسجع المتواتر كما أنها صوفية تميل إلى التجريد أحياناً كقوله :

"من علامة الاعتماد على العمل نقصان الرجاء عند وجـود  
الزلزل \* وكقوله :

" تنوعت أجناس الأعمال لتنوع واردات الأحوال \*

ونارة يميل إلى التجسيد والتصوير بالتشبيه كقوله :

" ادفن نفسك في أرض الخمول فما نبت مما لم يدفن لا يستـم  
نتاجه \* وكقوله :

لا ترحل من كونٍ إلى كون فتكون كحمار يسير والمكان الذي ارتحل  
إليه هو المكان الذي ارتحل منه ولكن ارحل من الأكوان إلى المكنون \*

ونارة يقف ابن عطاء الله في حكمه عند المعنى فيديره في صور  
متشابهة من اللفظ والمعنى كقوله :

" كيف يتصور أن يحجبه شيء "

وهو الذي أظهر كل شيء "

كيف يتصور أن يحجبه شئ

وهو الذى ظهر بكل شئ

كيف يتصور أن يحجبه شئ

وهو الذى ظهر فى كل شئ (١)

وبنظرة عميقة إلى حكم ابن عطاء الله السكندرى نجد لها بصفة  
عامة أحوال مأثورة لا يربط بينها رباط متسلسل من المعنى بل هى  
فقرات نظمت على فقرات مختلفة \*

وجاء فى أحوال من ترجموا له أن أنصاره جمعوا له كلاما كثيرا  
وكانت هذه الحكم من بين ما جمعه منسوبا له \*

% % %

بعد هذا العرض السريع لعصر ابن سيد الناس نقول :

فى هذا العصر الثقافى الذى تنوع فيه المعارف ، وتعددت المشارب ،  
وخيم عليه الركود والضعف فى الأدب واللغة كما يقول مؤرخو هذه  
المدة عاش صاحبنا العالم الجليل والأديب الرقيق أبو الفتح ابن سيد  
الناس \*

وقد نهل من مناهل العلم والأدب وتأثر بالعلماء والأدباء  
الذين عاصروهم أو أخذ عنهم وكان موضع تقدير وحب وثناء من أساتذته  
الذين أخذ عنهم \*

ومن الذين كانوا يثنون عليه ويثقون فى فهمه وحفظه وذوقه  
استاذة الجليل ابن دقيق العيد فقد روى الصلاح الصفدى عن عماد  
الدين بن القيسرانى قال :

---

(١) حكم ابن عطاء الله السكندرى - ط - ٩٥٤ م \*

” أخبرني عماد الدين بن القيسراني قال :  
كان ابن دقيق العيد إذا حضرنا درسه وجاء ذكر أحد من  
الصحابة والرجال قال :  
إيش ترجمة هذا يا أبا الفتح ، فيأخذ في الكلام ويسرد والناس  
سكوت والشيخ مصح لما يقول ” (١) .

ولا غرابة في ذلك فقد كان ابن سيد الناس — فيما بعد — محبا  
للسيرة النبوية مؤلفا فيها خبيرا برجالها ، فقد ألف كتابه المسمى  
” عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير ” وكان جيّدا  
وفريدا في نوعه واختصره فيما بعد في مختصر سماه ” نور العيون ” .

أما الإنتاج الأدبي بنوعيه الشعر والنثر فقد كان ناظما ناشرا  
أديبا مطبوعا رقيقا يقول الشعر بلا كلفه ، فقد قال القطب عنه :  
” إمام محدث حافظ أديب شاعر بارع جمع ألف وخمسة  
وأربعين وصارت له يد طويلة في الحديث والأدب مع الإتيان ” .

وقال عنه البرزالي :

” له الشعر الرائع والنثر الثاق ”

وقال عنه ابن فضل الله :

” كان أحد أعلام الحفاظ وإمام أهل البلاغة الواقفين بعكاز  
بحر مكثار وخبير في نقل الآثار وله أدب أسلح قيادا من الغمام  
بأيدي الرياح وأسلك مرادا من الشمس في خيمة الصباغ ” .

وقال عنه الصفدي :

” كان حافظا بارعا متفنا في البلاغة ناظما ناشرا مترسلا ” (٢)



وإذا كان الخلود والبقاء الدائم للإنسان يكون بقدر ما قدمه من عمل جليل وما خلفه من جهيد مشكور في مجال العلوم والآداب المختلفة فقد خلف ابن سيد الناس ثروة عظيمة كلها كانت في خدمة الشريعة الإسلامية وخصوصاً في علم الحديث ودراسة ورواية ، وفي السيرة النبوية وتاريخها الناصح المشرق وكذلك سيرة الصحابة والسلف الصالح ، أما اللغة والأدب فمؤلفاته الموجودة تشهد بما قدم .

من كل ما تقدم نحي بالدور الثقافي والأدبي الذي اضطلع به ابن سيد الناس في عصره . فقد شارك في النهضة العلمية والأدبية وأخذ من كل فن بطرف ، فهو — عالم — محدث — مؤرخ — أديب مطبوع قال الشعر الرائق والنثر الفائق ، إلا أن شهرته كمؤرخ وحافظ قد غلبت على شهرته كأديب .

والذي يقلب صفحات تراثنا العربي الخالد متمثلاً في لغتنا العربية وعلومها وآدابها وشيئتنا الإسلامية يجد بصمات هذا الرجل شاهداً على ما قدم وبذل .

## :: الفصل الرابع ::

\*\*\*

### نشأته وحياته وثقافته

-----

نشأ أبو الفتح بن سيد الناس في بيت رئاسة وعلم وأدب ، فقد كان جده أبو بكر يلقب بخطيب تونس وعالم المغرب ، وكان والده أبو عمرو ذا علم ودراية بالشرعة بالإسلامية واللغة العربية وعلومها ، وولى مشيخة الكاملية بعد ابن دقيق العيد .

أما إخوته أبو القاسم وأبو سعد فقد كانا على قدر من العلم والأدب (١) . ولم يكن العلم في هذا البيت مقصورا على الرجال بل تعداهم إلى النساء ، فقد كانت جدة أبي الفتح من جهة أبيه السيدة أم العفاف نزهة بنت الحسين - سليمان بن أحمد بن سليمان اللخمي ، عالمة فقيهة لازمها الرجال من آبائه وأجداده واغترفوا من علمها الغزير .

---

(١) أبو القاسم هو محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن سيد الناس أبو القاسم ، سمع من العز الحرائي أمالي القطيعي ومن ابن خطيب المزة وابن الانماطي وغيرهم ، وأعاد بالأشرفية ودرس بجامع الصالح . سمع منه شيخنا العراقي ، ومات في سنة ٧٤٩ هـ \* الدرر الكامنة ج ٤ ص ٣٣٥ .

أما أبو سعد فهو: محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن سيد الناس ، سعد الدين أبو سعد ابن الحافظ أبي عمرو بن الحافظ أبي بكر بن سيد الناس اليعمرى ، ولد سنة ٦٧٠ هـ وهو أخو الحافظ فتح الدين ، سمع من ابن الانماطي والعز الحرائسي وابن خطيب المدة وغازي الحلاوي وشامية بنت البكري في آخرين ، وحدث وكان ينظم ويشهد ، مات في ربيع الاول سنة ٧٣٨ هـ .  
\* المصدر السابق \* .

وكان ابن عمه - خيرا - قائداً حاجيا بأشبيلية وهى موطن آبائه وأجداده الذى نشأوا فيه ، يقول المراكشى فى رسالة ابن بكر بن سيد الناس وتعريفه بموطن آبائه وأجداده :

" مولد جدى الفقيه أبى محمد بأيدى سنة إحدى عشرة وخمسمائة وتوفى بأشبيلية عام الأرك سنة إحدى وتسعين وتوفى بها فى منتصف جمادى الأولى سنة ثمان عشرة وستمائة ومولدى بقرية من قرى أشبيلية تسمى الحَجيرة - خرج أبواي لها فى غلة الزيتون لضم فائد أملاكهم وكانا متحابين لا يصبر أحدهما عن الآخر فخرجنا جميعا إليها فكانت ولادتي بها لعشر ليال بقت من شهر اكتوبر الأعجمى ولا أدري ما وافق من الأشهر العربية لتلف تقييداتى وتقييدات سلفى فى ضيعة كسبي " (١) .

ما تقدم نقف أمام البيت الكبير الذى نشأ وترعرع فيه "أبو الفتح" والأسرة العريقة فى المجد المادى والادبى التى غزته بلنائها والمهمة ثديها فنشأ نشأة حسنة وكان ثمرة طيبة لهذا البيت الطيب وصدق الله العظيم : " والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والسدى حيث لا يخرج الا نکدا " .

ولكى نقف على نشأته وحياته وثقافته لا بد أن نذهب مع المترجمين له بين طيات الكتب .

قال صاحب الدرر الكامنة مترجما له :

---

(١) الذيل والتكملة للمراكشى ج ٥ ص ٦٥٣ - ٦٦١ / المكتبة الاندلسية .

”محمد بن محمد (١) بن محمد (٢) بن أحمد بن عبد الله  
ابن محمد بن يحيى بن محمد بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن  
عبد الله بن عبد العزيز بن سيد الناس بن الوليد بن منذر بن عبد الجبار  
بن سليمان أبو الفتح فتح الدين اليعمرى الشافعى الحافظ العلامة  
الاديب المشهور ولد فى ذى العقدة سنة ٦٧١ هـ بالقاهرة وكان من

(١) محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى بن محمد  
ابن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن عبد الله بن عبد العزيز  
ابن سيد الناس اليعمرى الرضى ابو عمرو بن أبي بكر ولد فى  
جمادى الآخرة سنة ٦٤٥ هـ وسمح ببجاية من أبيه ومن عبد الله  
ابن الابنارى وأبى الحسين بن السراج ، وتونس من أبي اسحاق  
ابن عباس والاسكندرية من منصور بن سليم ومصر من ابن النجيب  
وابن علاقة ومكة من أبي اليمن بن عساكر، وطلب بنفسه وقراً  
ونسخ واسمح أولاده وهم أبو الفتح وأبو القاسم وأبو سعيد ، وله  
إجازة من عبد الرحيم بن عبد المنعم بن القرش وأحمد بن فرمون  
وابن عبد الدايم وشيخ الشيخ وكان يدرى اللغة العربية وله  
نظم وفضائل ولى وشيخة الكاملية بعد ابن دقيق العيد ثم  
انتزعها منه بدر الدين بن جماعة ، ومات فى جمادى الأولى  
سنة ٧٠٥ هـ . الدرر الكامنة ج ٤ ص ٣٧٩ .

(٢) محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى بن محمد بن محمد  
ابن أبي القاسم سيد الناس ، ووليت عليه كنيته حتى صارت كالاسم  
وربما كنى أبا الفضل بن محمد بن عبد الله بن عبد العزيز بن سيد  
الناس بن الوليد بن منذر بن عبد الجبار بن سليمان بن عبد العزيز  
ابن حرب بن محمد بن حسان بن سعد بن عبد الرحيم بن خلف  
ابن يعمر بن مالك بن بهثة بن حرب بن وهب بن حلى بن  
أحمد بن ضبعة بن ربيعة بن القوس بن نزار بن معد بن  
عدنان اليعمرى ، اشبلى ابلى الأصل ، وسلفه ناقلة من منبج  
وقد ذكر ابو محمد عبيد الله الحكيم منهم أبا الوليد بن منذر المذكور  
ورفع نسبه الى يعمر بن مالك كما اثبتناه ، سكن شريش مدة وبجاية  
مدة أخرى ، واستوطن بآخرة تونس ، ابو بكر بن سيد الناس

بيت رياسة في بلاده وكان ابن عمه " خيرا " قائدا حاجيا  
باشبيلية " (١) .

وقصة السيادة والقيادة في شئون العلم والحياة في اسرة " ابي  
الفتح " رواها لنا المراكشي في رسالة ابن سيد الناس - الجد - ابي  
بكر - سالف الذكر قال :

" وقد وقفت على جوابه بخطه لمن سأله عن موضع سلفه  
بالاندلس وسبب حلولهم باشبيلية رأيت إثباته هنا وأن كان فيه بعض  
طول لتعلم منه بعض أحواله . ونصه :-

" أما أصلنا من منبج الشام وخرج سلفنا غزاة في طاحنة  
بلج واستوطنوا أبده جياث ويقال إنها شبيلة ببلدهم في خصبها  
واتساع خيرها . . . . . ولم يزل سلفي بها إلى سنة نيف وخمسمائة وقد  
ثار بها ابن همشك فقرهم منها احتياطا - زعم على استيثاق - إمرته  
بها فنقل منها جدي الأعلى الشيخ الفقيه أبا عبد الله محمد بن يحيى بن  
محمد ونيه الأربعة الفقهاء الانباه ابا علي الحسين بن محمد و ابا الحجاج  
يوسف بن محمد و ابا محمد عبد الله بن أبي بكر ، و ابا بكر يحيى بن محمد

---

تلا على ابيه وجدته أم ابيه ام العفاف نزهة بنت أبي الحسين  
سليمان بن أحمد بن سليمان اللخمي ، تلا بالتسع السبع المشهورة  
وقراءتي يعقوب و ابي محيىسن ، وعلى أبيه زيادة بشتين وعشرين  
رواية من الشواذ ، وقرأ عليهما جملة كتب ولازم جدته نحو ستة أعوام  
ونصف ، وأباه نحو خمسة عشر عاما ونصف ، وكان حافظا للقرآن  
العظيم منسوبا إلى تجويده واتقانه أدائه ذا حظ من التفسير ورواية  
الحديث واشتغال بروايته وتشبع بمعرفة الرواة ومشاركة في العربية  
وقرض الشعر ، اكتب بحسن العصر من نظراشبيلية مدة وفي

---

وكان أصغرهم واحتبس الشيخ عنده في منزل مكرما الا أنه محجور  
عليه التصرف دون بنيه فتحيل بنوه فخرجوا عنه وقد أخيفوا ولم تسعهم  
طاعة وكرهوا التوجه الى مرسية لنقيضه ابن مودنيص لما تخوفوا  
من لحاق ضرره اميرهم بأبيهم فلحقوا بأشبيلية وقد استوسق  
بها ملك المومنيه ففرح اميرهم لواليتها اذ ذاك اظنه ابن الجبر  
أو غيره فرفعهم الى القدوة حتى بايع ابن همسك ، ورجعوا في العودة  
الى اندلسهم فاسعفوا بذلك على أن يسكنوا اشبيلية وكان ذلك ، وأمر  
أبوهم باللاحاق بهم فاجتمعوا بها عن هذا كان أصل موقعنا  
بأشبيلية في حدود ستة ثمان وخمسين وخمسمائة ، فتاهلوا بها وولد لهم  
الاولاد الا من كان منهم ولد له قبل ذلك وهم معلومون بتواريخهم ،  
وقيت املاكا بيلدنا أبذه الى أن تغلب العدو عليها ، واتخذنا  
أملاكا آخر بعمالات اشبيلية داخلها وخارجها وما يرجع اليها ولم تنزل  
عامتها بأيدينا الى أن تغلب العدو عليها سنة ست وأربعين وستماية  
نفع الله بذلك (٢) .

بهذا النص المنقول نتبين العراقة والمجد التقليد الذي كانت

---

الاكتتاب اذهب معظم عمره بالاندلس ثم فصل عنها واكتب بغريسة  
خاملة من قرى شريش تدعى بونينه بيا بواحدة معقودة مفتوحة وواو  
ساكة ونونين أولاهما مكسورة وآخرهما مفتوحة وبينهما بيا مشغولة  
وها سكت ، وهي مجاورة كرناية ، احدى شاهير قرى شريش ،  
وفصل عنها الى سبتة ثم الى بجاية بعد الأربعين فذكر هناك بجود  
وخير وفضل ودين فقدم الى الامامة والخطبة بجامعها ثم استدعى  
منوها في حدود سنة ٦٥٤ الى تونس وقدم الى الخطبة بجامعها  
الجديد والصلاة به وتصدى لاسماع الحديث وغيره \* الذيل  
والتذكرة للمراكسي ج ٥ ص ٦٥٣ - ٦٦١ المكتبة الاندلسية \*

(١) الدرر الكامنة ج ٤ ص ٣٣٠ دار الكتب الحديثة \*

(٢) راجع رسالة ابن سيد الناس في المصدر السابق ذكره \*

تتمتع به أسرة أبي الفتح وتتوارثه كابراً عن كابر ، كما نتبين العوطن الاول —  
 لهم وهو بلاد الشام والاندلس وأشبيلية على وجه الخصوص ، وقد تنقل بعض  
 آبائه بين تونس والمغرب وتولوا بعض المناصب ونفعوا بلعلمهم وأدبهم  
 وانتهى بهم المطاف إلى بلاد المشرق حيث ولد أبو الفتح في القاهرة  
 سنة ٦٧١ هـ حين قدم والده أبو عمرو الى هذه الديار ، وقد أثبتت  
 المستقلاني ذلك في معرض الحديث عنه ، قال :

" وكان أبوه قد قدم الديار المصرية ومعه امهات من الكتب كمصنف  
 ابن ابي شيبة ومسنده ومصنف عبد الرازق والمطلى والتصديق والاستيعاب  
 والاستذكار وتاريخ ابن أبي خيثمة ومسنده البزار ..... " (٦) .

وبعد أن استقر بهم المقام ولد للحافظ ابي عمرو مولى سود جديد  
 سماه محمداً ، وقد احضره في سنة مولده على النجيب (١) قبله وأجلسه  
 على فخذه وكناه أبا الفتح ، ثم احضره في الرابعة على شمس الدين  
 المقدسي (٢) .

(١) النجيب — هو : أبو محمد بن عبد المنعم بن النجيب عبد اللطيف  
 ابن عبد المنعم بن الصقيل الحراني بن الشيخ نجم الدين ولد سنة  
 ثمان وستائة ، وسمع من ابن تيمية وغيره وتوفى بالاسكندرية في شعبان  
 سنة احدى وتسعين وستائة رحمه الله تعالى ، ١ هـ من تاريخ ابن  
 رسول " كتاب الذيل على طبقات الخبابة ج ٢ ص ٤٦٣ — ٤٦٤ .  
 مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٣ هـ ١٩٥٣ م .

(٢) شمس الدين المقدسي : جاء عنه في كتاب البداية والنهاية ج ١٤ ص  
 ٢١٠ في اخبار سنة ٧٤٤ هـ ما يلي :

" وفي يوم الاربعاء " عاشر جمادى الاولى توفي صاحبنا الشيخ  
 الامام العالم العلامة الناقد البارع في فنون العلم شمس الدين محمد  
 بن الشيخ عماد الدين أحمد بن عبد الوهاب المقدسي الخبلي  
 رحمه الله برحمته — وكان مولده في رجب سنة خمس وسبعمئة فلم  
 يبلغ الاربعين وحصل من العلوم ما لم يبلغه الشيوخ والكبار .  
 الدرر الكامنة ج ٤ ص ٣٣٢ .

ويحضرونهم الى مصر وضعوا لها الترحال واستوطنوا أرض الكنانة  
 بهذه العلم والحضارات ، وبدأ الطفل يشب وينمو في رحاب الأب المالم الفقيه  
 ويستشقى عبيره ويتطلع لليوم العظيم الذى يبلغ فيه مبلغ هؤلاء العلماء  
 ويجلس مجالسهم تحفة المهابة وتشرئب إليه الأعناق ، وما أن شب عن الطوق  
 وقويت مداركه على الاستيعاب حتى أخذ يخرق من العلم وينهل من بحور  
 العلماء الجهابذة الأعلام ، أمثال القسطلانى والعز الحرانى وابن الانماطى  
 وغيرهم • قال صاحب الدرر الكامنة :

” وسمع على القطب (١) القسطلانى والعز الحرانى (٢)

(١) القطب القسطلانى هو : : محمد بن أحمد بن على بن محمد بن  
 الحسن بن عبد الله بن أحمد بن ميمون التوزى الأصل المكى الدار  
 القاهرى المنزل والوفاة - ولد بمكة المشرفة فى سنة أربع عشرة وستمئة  
 وسمع بها من والده وعلى بن البناء والشهاب السهروردى • • • تفقه  
 وانتهى وطلب الى القاهرة من مكة وتولى بها مشيخة دار الحديث  
 الكاملية ، ذكره الحافظ ابو الفتح بن سيد الناس فى احفظ من لقيه  
 فى اجوبته عن مسائل ابن ابيك الى أن قال عنه : ” ولى دار -  
 الحديث الكاملية فقام بها أحسن قيام ولم يزل معظما عند الخاص  
 والعام • توفى فى ليلة الثامن والعشرين من محرم سنة ست وثمانين  
 وستمئة ودفن بسفح المقطم حضرت جنازته والصلاة عليه • انتهى •  
 • ذيل تذكره الحفاظ ص ٧٨ • ”

(٢) العز الحرانى هو : عبد العزيز بن عبد المنعم بن صقر الحرانى •  
 عز الدين ابو العز وسند الوقت ، ولد سنة أربع وتسعين  
 وخمسائة وسمع من ابي حامد ، ويوسف بن كامل ، واجاز له ابن  
 كليب ، وكان آخر من روى عن اكرم شيوخه ، استوطن مصر الى أن  
 مات بها سنة ٦٨٦ هـ • ” كتاب الذيل على طبقات الحنابلة ج ٢  
 ص ٤٦٣ - ٤٦٤ م / السنة المحمدية ١٣٧٣ هـ / ٩٥٣ م •



وابن الانماطى (١) وغازى وابن الخيمى وشامية بنت البكرى وطلب بنفسه وكتب بخطه واكثر عن اصحاب الكندى وابن طبرزه \* .

ومن اكبر مشايخه الذين كان لهم عظيم الأثر فى حياته وتكوين شخصيته العلمية والادبية استاذ الفقيه الحجة ابن دقيق (٢) العميد الذى تخرج عليه فى أصول الفقه ، وكان يحبه ويؤثره ويصغى إلى كلامه ويثنى عليه ،

- (١) ابن الانماطى — ابو بكر محمد بن الحافظ البارعى الطاهر اسماعيل بن عبد الله الانصارى المصرى ، ولد بدمشق سنة تسع وستائة وسمع حضورا من الكندى واكثر عن ابى الحرستانى وابى ملاعب وخلف ، توفى فى ذى الحجة بالقاهرة — \* الصبر فى خبر من غير — الذهبى ص ٣٤٩ ج ٥ م حكومة الكويت — ٧٤٨ هـ ١٣٤٧ م
- (٢) ابن دقيق العميد : محمد بن وهب بن مطيع الامام العلامة شيخ الاسلام تقى الدين ابو الفتح بن دقيق العميد القشيرى المنقلاطى المصرى المالكي الشافعى أحد الاعلام والقضاة ، ولد سنة خمس وعشرين وستائة بناحية ينبع وتوفى يوم الجمعة حادى عشر صفر سنة اثنتين وسبعمائة ، وكان اماما متفنا محدثا مجودا فقيها .
- \* فوات الوفيات ج ٢ ص ٤٨٤ م النهضة ط ١٩٥١ م .
- وقد قال عنه ابو الفتح بن سيد الناس المصرى الحافظ فى كتاب طبقات الشافعية ج ٩ ص ٢٠٨
- \* لم أر مثله فيمن رأيت ولا حملت عن أجل منه فيما رأيت ورهيت وكان للعلوم جامعا وفى قنونها بارعا مقدما فى معرفة علل الحديث على أقرانه منفردا بهذا الفن النفيس فى زمانه بصيرا بذلك سديد النظر فى تلك المسالك ٠٠٠ لا يشق له غبار ولا يجرى معه سواه فى ضمائر :

إذا قال لم يترك مقالا لتأمل

مصيب ولم يثن اللسان على هجر  
وكان حسن الاستباط للاحكام والمجانى من السنة والكتاب بلسب  
يسحر الالباب وفكر يستفتح لم ما يستغرق على غيره من الابواب ،  
مستعينا على ذلك بما رواه من الملوم مستبينا ما هناك بما حواه من

ما ولد فيه الثقة بنفسه ومواهبه وملكاته ، ومنهم أيضا بهاء <sup>(١)</sup> الدين بن النحاس الذي أخذ عنه اللغة العربية وعلومها وأقاد منه الكثير .

ولم تقف بأبى الفتح نفسه المتعطشة الى المزيد من العلم والمعرفة على أرض الكنانة وعلماؤها وحدثهم بل ارتحل الى بعض الاقطار المجاورة وأخذ عن علمائها ومحدثيها من ذلك رحلته الى دمشق ، وقد أخبر عنها القسطلاني حيث قال :

" ورحل الى دمشق فاتفق وصوله عند موت الفخر <sup>(٢)</sup> بن البخاري

مدارك المفهوم ، مبرزاً في العلوم العقلية والعقلية والمسالك الاثرية والمدارك النظرية وكان من العلوم بحيث يقضى . له من كل فن بالجميع .

وسمع بمصر والشام والحجاز على تحرف في ذلك واحتراز ولم يزل حافظاً للسانه مقبلاً على شأنه ، وقف نفسه على العلوم وقصرها ، ولو شاء العاد أن يحصر كلماته لحصرها ، ومع ذلك فله بالتجريد تخلق ، وبكرامات الصالحين تحقق ، وله مع ذلك في الادب باع وساع وكرم وطباع لم يخل في بعضها من حسن انطباع ، حتى لقد كان الشهاب محوود الكاتب في تلك المذاهب يقول :

" لم تر عيني أدب منه . انتهى "

(١) بهاء الدين بن النحاس : محمد بن ابراهيم بن محمد بن ابي نصر الامام العلامة حجة العرب ، بهاء الدين بن النحاس الحلبي النحوي شيخ العربية بالديار المصرية ولد في سلخ جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين وستمائة بحلب وتوفي سنة ثمان وتسعين وستمائة بالقاهرة ، وتخرج به جماعة من الأئمة .

(٢) " فوات الوفيات لابن شاكر ج ٢ ص ٣٥٢ م النهضة ط ١٩٥١ م " .  
الفخر بن البخاري : فخر الدين ابو الحسن علي بن أحمد بن عبد الواحد بن قدامة المقدسي المولود سنة ست وتسعين وخمسائة والمتوفي سنة تسعين وستمائة عرف بابن البخاري لان ابيه اقام ببخار مدة يشتغل بالخلاف على الرضى النيسابوري كما ذكره ابن رجب في ترجمة والده . " ذيل تذكرة الحفاظ للذهبي ص ١٧ القدس / دمشق / ط ١٣٣٣ - ١٣٣٤ هـ " .

فقلّم لذلك وأكثر عن الصوري وابن عساكر وابن الجاور وغيرهم وأجاز له جمع جم  
في العراق وأفريقية وغيرها ولعل مشيخته يقاربون الالف \* .

أما ثقافته ابن الفتح ومبلغ علمه وأدبه وسلوكه العام والخاص في الحياة  
فقد تحدث عنه الكثيرون من المعاصرين له أو المترجمين لحياته \* .

فقد قال الكمال الأدقوى عنه :

\* حفظ التبيين في الفقه وصنف في السيرة كتابه المسمى عيون الاثر  
وهو كتاب جيد في بابه وشرح الترمذى ولو اقتصر فيه على فن الحديث  
من الكلام على الاسانيد لكل لكانه قصد أن يتيح شيخه ابن دقيق الميسر  
فوق دون ما يريد \* (١) .

فهوبة الفهم والحفظ والاستيعاب والمقدرة على انتقاء الافكار  
واستنباط الاحكام والتأليف والجمع والترتيب من الأشياء التي اشتهر بها أبو  
الفتح وشهد له بها كثير من الباحثين \*  
قال الامام الذهبي في معرض الحديث عن أبي الفتح :

\* ونسخ بخطه وانتقى ولازم الشهادة مدة وكان طيب الاخلاق بساما  
صاحب دعابة ولعب صدوقا في الحديث حجة فيما ينقله له بصر ناقد فنى  
الفن وخبرة بالرجال ومعرفة بالاختلاف ويد طولى في علم اللسان ومحاسنه  
جمة ... الى أن قال :

\* ولو أكب على العلم كما ينبغي لشدة اليه الرجال ولكنه كان  
يتلمس عن ذلك ببساطة الكتبة وكان النظم عليه بلا كلفه وكان بساما كيسا  
مشارا لا يحملها \* .

وقال عنه البرزالي :

" وكان أحد الأعيان معرفة وإتقاناً وحفظاً للحديث وتفهماً في علله  
وأمانته عالماً بصحيفة وسقيمة مستحضراً للسيرة له حظ من العربية حسن  
التصنيف صحيح العقيدة سريع القراءة جميل الهيئة كثير التواضع طيب  
المجالسة خفيف الروح ظريفاً كياساً له الشعر الرائق والنثر الفائق وكان محباً  
لطلبه الحديث ولم يخلف في مجموعه مثله " .

والذي ينظر في غزله ونسيبه ومدحه في ديوانه المسمى بشري اللبيب  
يذكرى الحبيب ، وفي بعض الأبيات المتأثره في كتب التراجم يجد شمعاً رقيقاً  
ورائفاً حقاً ، وكذلك نشره متفوقاً على غيره بالعدوثة والسلاسة وعدم التكلف .

ومن تحدثوا عن علم أبي الفتح وأدبه - القطب - قال عنه :  
" إمام محدث حافظ أديب شاعر بارع جمع وألف وخرج وأتقن  
وصارت له يد طويلة في الحديث والأدب مع الاتقان ثبت فيما ينقل ويضبط  
من أحسن الناس محاضرة " .

وقال عنه ابن فضل الله العمري :  
" كان أحد أعلام الحفاظ وإمام أهل البلاغة ، الواقفين بعكاظ بحر  
مكتار وجبر في نقل الآثار وله أدب أسلس قياداً من الغمام بأيدي الرياح  
وأسلك مراداً من الشمس في خيمة الصباح " .

وإذا كان الفضل ما شهدت به الأعداء فهذا هو الصلاح الصفدي  
الذي كان منحرفاً عنه - كما قالوا - يشهد له بالفضل تأيلاً :

• كان حافظا بارعا متقنا في البلاغة ناظما ناثرا مترسلا حسن الخط جدا حسن المحاورة لطيف العبارة •

وما يدل على مقدرة ابي الفتح الذهنية وسعة اطلاعه وارواه عماد الدين بن القيسراني <sup>(١)</sup> ، قال :

• وكان ابن دقيق العيد اذا حضرنا درسه وجاء ذكره أحد من الصحابة والرجال قال : أي ترجمه هذا يا أبا الفتح ؟ فيأخذ في الكلام ويسرد والناس سكوت والشيخ مصغ الى مايقول ؟ •

واستمر القيسراني في الحديث عن ابي الفتح الى أن قال :  
• وكان صحيح القراءة سريعا لم اسمع انصح منه ولا اسرع وكان يكتب المصحف في جمعة واحدة وكتب عيون الاثر في عشرين يوما — وقال حاكيا عنه :

• قال لي لم أكتب على احد ولم يكن لي في العروض شيخ فظلمت فيه جمعة فوضعت فيه تصنيفا •

ويواصل القيسراني الحديث عن ابي الفتح الى أن قال :  
• وله مختصر السيرة سماه نور العيون ، ويشري اللبيب بذكرى الحبيب — قصائد نبويه وشرحها في مجلد ، وله منح المدح ، والمقامات الحلية في الكرامات الجليلة وولى درس الحديث بالظاهرية ومدسة ابي حلية ومسجد الرصد ، وخطابة جامع الخندق وله رزق بالديار المصرية وراثب بصفه <sup>(٢)</sup> •

وإذا أحب الله عبداً حبيبه إلى خلقه وجعل له القبول والاحترام  
في قلوب جميع الناس ، وذلك بدماثة اخلاقه وطهارة نفسه وحسن معاملته ،  
إلى جانب المواهب العلمية والأدبية .

وقد كان نصيب أبي الفتح من محبة الناس واحترامهم له كبيراً ،  
وقد تفوق في الاخلاق والعلم معا ، وقد اثبت الصفدى ذلك عند الحديث  
عنه ، قال :

ما رأيت أحداً له مثل حظه ما رآه أحد إلا أحبه . كان علم الدين  
الدوادارى يحبه ويلزمه كثيراً ودخل به إلى المنصور لاجين وقد مدحه  
بقصيدة فرتبه في جملة الموقعين فرأى الشيخ الملازمة صعبة فسأل الاعفأ  
فقال اجعلوا معلومه راتبا فما زال يتناوله إلى أن مات ، وكان الكمالى يشام  
معه وكان كريم الدين يميل إليه كثيراً وكان أرغون النائب يتعصب له .

وفى كلام الحافظ الذهبى عنه أيضاً ما يثبت هذا التفوق الأخلاقى  
الذى اكسبه المحبة وانزله منزلة الاحترام ، فى نفوس الخلق ، قال واصفاً له :  
" ذو الفنون والذهن الوقاد كان عديم النظير فى مجموعه رأساً فى  
الادب قل أن ترى الميون مثله فى فهمه وعلمه وسيالان ذنبه وسعة معارفه  
وحسن حظه وكثرة أصوله وكان طيب الاخلاق ذاكراً ومذلاً واعارة لكتبه تخرج  
به جماعة " (١) .

إلى هنا نرى الجانب المتفوق المشرق من نشأة وحياة وثقافة أبى  
الفتح بسن سيد الناس .

ففى نشأته : رأينا النشأة الحسنة فى كفا الأسرة الكريمة ونحست  
سمع وبصر الاب المالم الاديب ، ولما كبر وبلغ مبلغ الرجال رأينا الحياة

المهادنة للمطمئنة العامة بالحب والتقدير .

وفى ثقافته رأينا العلم الوافر الفزير والادب الفائق العذب  
الراقي .

ومهما كثرت فضائل الانسان وعلا قدره وتعددت محامده قل أن  
يسلم من الانتقاد فالكمال لله وحده وقد يما قالوا :  
كفى المرء نبلا أن تعد معاييه .

فقد عد بعض المحاصرين لابی الفتح عليه بعض المآخذ ولم يسلم  
من انتقادهم ، وهذه طبيعة الحياة فالناس بين قادح ومادح .

قال الكمال جعفر عنه :

" كان يعاشر بعض الاكابر فوقع له من البدر بن جماعة زجر  
فصرفه عن إعادة الحديث بالجامع الطولوني . . . . . " .

وقال عنه الصفدي :

" ولو كان اشتغاله على قدر ذهنه لبلغ الغاية التصوي ولكنه  
كان يتلمهى عن ذلك بمعاشرة الكبار . . . . . " .

وقال عنه الذهبي :

" ولو أكب على العلم كما ينبغي لشدت إليه الرجال ولكنه كان  
يتلمهى عن ذلك بمعاشرة الكتبة . . . . . " .

وقال عنه الذهبي ايضا فى معجمه المختصر :

" أحداثة هذا الشأن كتب بخطه المليح كثيرا وخرج وصنفو-  
وصحح وعلل وفتح واصل وقال الشعر البديع ، وكان حلوا النادرة حسن-  
المحاضرة جالسته وسمعت قراءته وأجاز لى مروياته عليه مأخذ فى دينه وهدى

قاله يصلحه وإيانا . . . . \*

وقال عنه ابن كثير :

" اشتغل بالعلم فبرع وساد أقرانه في علوم شتى في الحديث والفقه والنحو وعلم السير والتاريخ وغير ذلك وقد جمع سيرة حسنة في مجلدين وقد حرر وجبر وأجاد وأفاد ولم يسلم من بعض الانتقاد ، وله الشعر والنثر الفائق وحسن التصنيف والتصنيف والتعبير وجودة البديهة وحسن الطويلة والعقيدة السلفية والافتداء بالأحاديث النبوية ، وتذكر عنه شئون أخر الله يتولاها فيها ، ولم يكن بمصر في مجموعة مثله في حفظ الاسانيد والمتون والحلل والفقه والملح والاشعار والحكايات \* "

وقال عنه صاحب البدو السافر :

" وخالط اهل السفه وشراب المدام فوقع في الملام ورشيق بسهام الكلام ، والناس معادن والقرين يكرم ويهان باعتبار المقارن \* "

قال :

" ولم يخلف بعده في القاهرة ومصر من يقوم بفنونه مقامه ولا من يبلغ في ذلك مرامه اعقبه الله السلامة في دار الاقامة \* (١) "

بهذا نرجو أن نكون قد ألمنا إمامة سريعة بنشأة وحياة وثقافة أبي الفتح ، وعرضناها عرضا موجزا في نظر المعجبين به الذين ينفضون أبصارهم عن كل عيب ولا يذكرون إلا المحاسن ، وفي نظر الآخرين الذين يعدون المحاسن الكثيرة ولا ينسون المساوي القليلة .

وكفى أبا الفتح فضلا أن مساومه لا تعدو أصابع اليد .



وكانت نهاية حياة أبي الفتح بن سيد الناس في شعبان  
سنة ٧٣٤ هـ أثر علة مفاجئة لم نعلمه، يروى أنه قام من موضعه  
ثم سقط على الأرض ولقف ثلاث لظات ثم أسلم روحه إلى بارئها، ودفن  
عند الامام الشافعي بجوار ابن أبي جمرة، أنزل الله على الجميع شأبيب  
رحمته •

ويروى أن نعمة كان حافلا بالمودعين والمشييعين من عظماء  
القوم وعلمائهم وأعيانهم •

## :: الفصل الخامس ::

~~~~~

آثاره الأدبية

من آثار ابن سيد الناس الادبية الخالدة مؤلفاته الثلاث - وهى
كتاب منح المدح ، وكتاب المقامات العلية فى الكرامات الجليلة ، وكتاب
يشيرى اللبيب بذكرى الحبيب •

وكل هذه الكتب مخطوطة حتى الآن وتوجد منها نسخ بدار
الكتب المصرية ونسخ مصورة بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية
بالقاهرة •

وقد قمت بتصوير النسخ الثلاث على نفقتى الخاصة حتى أتمكن من
وصفها وأخذ مقتطفات منها باعتبارها آثارا أدبية خالدة له •

وله أيضا كتاب عبون الأثر فى فنون المغازى والشئال والسير ،
وهو كتاب مطبوع سنقف معه قليلا فى الصفحات التالية •

١ - منح المدح :

وصف موجز لهذا الكتاب وأخذ بعض المقتطفات منه •

يقع كتاب منح المدح فى أربع وتسعين ورقة مصورة وهى تساوى مائة
وثمان وثمانين صفحة •

وقد بدأه صاحبه بقصيدة ميمية مطولة فى المدح اشتملت على
مائة وسبعة عشر بيتا من الشعر ، وذكر فى هذه القصيدة حوالى مائة وتسعين
من الصحابة والصحابيات ممن مدحوا الرسول صلى الله عليه وسلم فى حياته ،

بسم الله الرحمن الرحيم

والشيخ الامام الميرزا محمد
في الدين حجة الاسلام
ابن محمد بن محمد بن محمد
ابن محمد بن محمد بن محمد

بعد حمد الله الذي غمته الآوة هو تمت نفاؤه فوجيه من كل
قلب فجيده ومن على لسان شأوه والطاة والسلام على نبيه محمد
الموصوفه بالمدح يتناهى المشتقه من المبدأ شأوه الذي شق
له من نعتيه المحمود محمداً وفصله بما قص له من حبيبي القدي
والندي فاشرفت ابواره واعد قسماً فواؤه صلى الله عليه
وعلى اله وصحبه الذين شقوا بانفسهم القدي وقرؤا بالسنن
العلي فعمد لكل حبي خاتمه ولكل خط خطاؤه المتخي
له منهم حواير سوء وخطاؤه وورثاؤه وانصاره وشعراؤه
المؤيد منهم روح القدس من كان بقوله المنيب للدين
الحبيب شفاؤه ما اسفر عن الصباح ضياؤه واعقب
الصباح مشاؤه وسلم تسليماً كثيراً اوضع كاي
المسمى بشري اللبيب بذكرى الحبيب المتضمن قصايد
على حروف المعجم اشتملت على ذكر جملة من اوصاف سيد
المسلمين وحبيب رب العالمين سيدنا محمد صلى الله عليه
وعلى اله وصحبه وسلم ومناجحه وما خصه الله تعالى به من
هباته ومناجحه والاشارة الى جملة من معجزاته الباهرة
وراهيته التي هي عن تصديقه سافره متنوعة الافانين
متعددة الاساليب معجزة لكل ذي قلب سليم بما ياتي به من

أو رثوه بعد وفاته.

وبعد الانتهاء من القصيدة تعرض بالترجمة والتعريف في كتابه لكل صحابي أو صحابية ورد ذكر اسمه في القصيدة واتباع ذلك بإيراد مقتطفات من أشعارهم ، ويطلبنا في هذا الكتاب أنه مرتب في تبويبه على حروف المعجم ، فأول باب فيه هو باب الهزة ، وآخر باب فيه هو باب الهاء .

ويذكر مؤلفه على هذا الترتيب كل صحابي أو صحابية ممدوح الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو رثاه في الباب الذي يقع فيه أول حرف من اسمه ، وشيئا من شعره ويأتي بالأسانيد التي تثبت صحة هذا الشعر ونسبته إلى قائله زمانا ومكانا - ويعقب ذلك يشرح وتوضيح لبعض الكلمات الغريبة في كل قصيدة يوردها ، ويستند في هذا الشرح إلى قواميس اللغة العربية المشهورة مثل ابن سيدة وغيره .

ويذكر بعد ذلك المناسبة التي قيل فيها هذا الشعر وتعليق الرسول صلى الله عليه وسلم عليه ، إذا قيل في حياته .

من كل ما تقدم يتضح لنا أن موضوع الكتاب هو : مقتطفات من شعر الصحابة والصحابات في الرسول صلى الله عليه وسلم والتعريف بهم .

وهذا ما قاله المؤلف نفسه في كتابه المخطوط من حديث له طويل

قال :

” ثم عرض لي بعد ذلك معنى لم أسبق فيما علمت إليه ، ولا دل أحد يقدمني عليه ، من ذكر ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من الصحابة نجوم الهدى ، ورجوم المصدقين لتكون لنا بهم القدوة وفيهم رضى الله عنهم

الاسـوة * (١) *

وإذا رجعنا الى قصيدته الميمية التي صدر بها الكتاب فأنشأ
نجدّه قد بدأها كمادة أمثاله من شعراء المديح في المصور الأخيرة
- بالبكاء على الاطلال وذكر الاحبة الظاعنين *

قال في مقدمتها :

"دمن ألمّ بها فصاح مسلماً
وبكى على أطلالها أقوى دماً
وترنمت نغماته بفـرامه
فأجابه عنها الصدى مترنماً
هيهات لا يشفى الصدى رجح الصدى
يادارُ مالي لا أحسن مخيماً

الى أن قال :

فأحبس مطيـك أو فخل زمامها
واقطع رجاءك من عسى ولعلما
وصن المطامع عن زعانف كلما
خاطبتهم خاطبت رسماً أعجماً
أو سمت برقاً خلباً أو رمت أن
ترد الشراب من السراب على ظمأ
وتخلص تخلصاً حسناً من البكاء على الاطلال الى مدح الرسول صلى الله
عليه وسلم بهذا البيت :

وادمع الاله يجب دعاك وارج من

انعامه ما شئت تدرك منعماً

(١) كتاب منح المدح / مخطوطة بدار الكتب المصرية ، ومصورة بمعهد
المخطوطات بجامعة الدول العربية تحت رقم ٨٣٧ / أدب *

ثم قال :

وصل الرجاء بحبل من الآؤه
تعطى الجزيل من الهدى بعد العمى
وامدح نبيا يرش ربك مدحه

.....

وبعد مدح الرسول صلى الله عليه وسلم تتناول القصيدة من
مدحوا الرسول وشيئا من مآثرهم *
ولأخذ صورة وصفية مكتملة لهذا الكتاب ومادة الأدبية نقتطف
شيئا من الأشعار والتراجم منه سائرنا على نفس منهجه في التوبييب
والترتيب على حروف المعجم *

١ - حرف الهمزة :

من الأسماء التي أوردها في هذا الحرف - أسود بن مسعود
الشفقي - وقال عنه :

هو الذي حارب ظبيان بن كداد عند رسول الله صلى الله عليه
وسلم في الحديث الطويل المذكور وفوده فيه * * *
وأنشد له هذه الأبيات :

أسيئت أعبدُ ربي لا شريك له
رب المباد إذا ما حصل البشر
لا أبتغي بدلا بالله أعبد
مادام بالجزع من أركانه حجر

إِنَّ الرُّسُولَ الَّذِي تَرْجَى نَوَافِلَهُ
عِنْدَ الْقَحُوطِ إِذَا مَا أَتَحَطَّ الْمَطَرُ
وَذَكَرَ فِي هَذَا الْحَرْفِ أَيْضًا — أَصِيدَ بِنَ سَلَمَةَ — وَقَالَ عَنْهُ :
" ابْنُ أَرِيْقَطَ ^(١) بَنُ عُبَيْدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ كَلَابِ بْنِ رَبِيعَةَ ، أَسْلَمَ
عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " .

وَيُرْوَى لَهُ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ :
أَنْ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بِقُدْرَةٍ
حَتَّى عَلَا فِي مَلِكِهِ فَتَوَحَّشَدَا
بَعَثَ الَّذِي لَا مِثْلَهُ فِيمَا مَضَى
يَدْعُو لِرَحْمَتِهِ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا
ضَخَمَ الدَّسِيمَةَ كَالْفِرَالَةِ وَجْهَهُ
قَرْنَا تَأْزُرُ بِالْمَكَامِ وَارْتَدَى
فَدَعَا الْعِبَادَ بِدِينِهِ فَتَتَابَعُوا
طَوْعًا وَكَرْهًا مُقْبِلِينَ عَلَى الْهَدْيِ

وَذَكَرَ — أَمْرُ الْقَيْسِ بْنِ عَابِسَ — وَقَالَ عَنْهُ :
" أَمْرُ الْقَيْسِ بْنِ عَابِسَ الْكَنْدِيُّ لَهُ صَحْبَةٌ وَشَهِيدٌ فَتَحَ النُّجَاسِيرَ
بِالْيَمَنِ ثُمَّ حَصَنَ الْكَنْدِيِّينَ الَّذِينَ ارْتَدَوْا " وَهُوَ الْقَائِلُ :
قَفْ بِالْدِيَارِ وَقُوفْ عَابِسَ

وَتَنَآنَ إِنَّكَ ^(٢) غَيْرَ أَنَسَ

- (١) جاء في كتاب الإصابة في معرفة الصحابة لابن حجر ج ١ ص ٦٨ — ابن قريظ — بدل أريقط — وبقية الترجمة متفقة مع ترجمة ابن سيّد الناس ، ولم يذكر أبيات الشعر .
(٢) جاءت له بعض هذه الأبيات في كتاب الإصابة ج ١ ص ٨٩ — بتعديل كلمة " إنك " بكلمة " آنة " .

لعبت بهن العاصف
ت الراحات من السوامس
ماذا عليك من الوقو
ف بهامد الطللين دارس
يارب باكية علي ومن
شد لي فسي المجالس
أو قائل يا فارسا
ماذا رزئت من الفوارس
لا تعجبوا ان تسمعوا
هلك امرؤ القيس بن عابس

٢ - حرف الباء :

أور في هذا الحرف - بجير بن زهير بن أبي سلمى - (١) وقال عنه :
"روينا عن أبي عمر قال : بجير بن أبي سلمى ، واسم ابن سلمى
ربيعة بن رياح بن قرط بن الحارث بن مازن بن ثعلبة بن ثور بن لاضم بن
عثمان ، كان شاعرا محسنا هو وأخوه كعب ، وأما أبوهما فأحد المبرزين
الفحول من الشعراء ... " .

ونسب اليه شعرا يوم فتح مكة منه هذه الابيات :

(١) قال عنه صاحب الاصابة ج ١ ص ١٤٢ - أخو كعب بن زهير
الشاعر المشهور ، وأورد له أبيات الشعر المذكورة مع زيادة
بيت قبل البيت الاخير ، نصه :
صبحناهم بألف من سليم

وألف من بني عثمان وأفس

فرحنا والجياد تجول فيهم
بارمناح مقوسه الثقاف
فأبنا غانمين بما اشتبهينا
وأبوا نادمين على الخلاف
وأعطينا رسول الله منا
مواثيقا على حسن التصافي
وقد سمحوا مقاتلتا فهموا
غداة الروح منا بانصراف

وذكر - بجير بن بَجْرَة ^(١) - وقال عنه :
" بجير بن بجرة من قبيلة طى شهد يوم الفتح ... " وأورد له
شعرا منه هذه الابيات :

نضارب بالبطحاء دون محمد
كتائبهم كانوا أعق وأظلمنا
ويوم حسين قد شهدنا هياجه
وقد كان يوما نافع الموت مظلمنا
برايقتنا حول النبي محمد
ولم يجدوا إلا كميته مسوما
إذا ما استلناهن يوما لوقمة
فليست بمنمردات أو تزرف الدما

(١) قال ابن حجر في الإصابة ج ١ ص ١٤٢ - بن بجرة - بفتح اوله
وسكون الجيم ، الطائي ، قال عنه ابن عبد البر : له في قتال أهل
الردة آثار وأشعار ذكرها ابن اسحاق *

فكانت لنا النعما على الناس كلهم
قضا بني عادل حيث حكما

٣ - حرف الحاء :

جاء في هذا الحرف من الصحابة الكرام رضى الله عنهم - حمزة
ابن عبد المطلب - وقال عنه :

" حمزة بن عبد المطلب بن هاشم ، عم رسول الله صلى الله عليه
وسلم وأخوه من الرضاعة ، أرضعتهما ثويبه الأسلمية ، يكنى أبا عمار وأبنا
يعلى ^(١) أسلم في السنة الثانية من الهجرة وقبل في السادسة ، شهد
حمزة بدرًا وأبلى فيها بلاءً حسنًا ، وشهد أحدًا وقتل يومئذ شهيدًا " .

ونذكر له شعرا منه :

حمدت الله حين هدى فؤادى
الى الاسلام والدين الحنيف
لدين جاء من رب عزيز
خير بالعباد بهم لطيف
اذا تليت رسائله علينا
تحدردمع ذى اللب الحنيف
رسائل جاء أحد من هداها
بآيات مبينة الحروف
وفي هذا الحرف جاء أيضا - حسان بن ثابت ^(٢) - وقال عنه :

(١) قال عنه صاحب الاستيعاب ج ١ ص ٢٧٠ - كان يقال له أسد الله

وأسد رسوله " . وسرد له نفس الترجمة مع اختلاف قليل .

(٢) جاء عنه في كتاب الاصابة ج ١ ص ٣٢٥ . كان شاعرا لانصار فـ

”كان يقال له شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، روى عن عائشة
رضي الله عنها أنا وصفت الرسول فقالت : كان والله كما قال شاعره حسان
ابن ثابت رضي الله عنه :

متى يبدو في الدجى البهيم جبينه
يلج مثل مصباح الدجى المتوقد
فمن كان أو من قد يكون كأحمد
نظام لحق أو نكال لمحمد

٤ — حرف الزاي :

تحت هذا الحرف أورد — زيد بن حارثة — وقال عنه :
” زيد الحب بن حارثة بن شرحبيل بن عبد العزى بن امرئ القيس
ابن النعمان بن عامر بن عبدود ساء أبوه بهنمه ، وأم زيد سعدى بنت ثعلبة
من بنى محسن من طي ”

وروى قصة أسر زيد وبيعه ووجوده بمكة في كف محمد صلى الله عليه
وسلم ، الى أن قال :

” فحج ناس من كلاب فرأوا زيدا فعرفهم وعرفوه

فقال أبلغوا أهلى هذه الابيات فإني أعلم أنهم قد جزعوا عليّ :

أحين إلى قومى وإن كنت نائيا

فإني قطين^(١) البيت عند المشاعر

الجاهلية ، وشاعر النبي صلى الله عليه وسلم في أيام النبوة ، وشاعر

اليمن كلها في الاسلام .

انظر الاستيعاب في معرفة الاصحاب ج ١ ص ٥٤٥ — ٥٤٦ فقد جاء

(١)

فكفوا عن الوجد الذي قد شجاكم

ولا تعملوا في الأرض نصي الباعس

فإني بحمد الله في خير أسرة

كرام محمدي كابراً بعد كابراً

قال فانطلق الكليون فاعلموا اباي فقال ابني ورب الكعبة ووصفوا له موضعه وعند من هو ، فخرج حارثة وكعب بفدائه وتقدم مكة وسألا عن النبي صلى الله عليه وسلم فقيل هو في المسجد فدخلا عليه فقالا يا بن عبد الله يا بن عبد المطلب يا بن هاشم يا بن سيد قومك انتم اهل الحرم وجيرانه وعند بيته تفكون الماني وتطعمون الاسير جئناك في ابنا عندك فامن علينا وأحسن إلينا في فدائه فإنا سنرفع لك في الفداء ، قال ما هو قالوا زيد بن حارثة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا غير ذلك قالوا ما هو قال ادعوه فخيروه فان اختاركم فهو لكما بخير فداء وان اختارني فوالله ما أنا بالذي اختار على من اختارني أحدا ، قالوا قد زدنا على النصف وأحسننا ، قال فدعاه فقال هل تعرف هؤلاء ، قال نعم قال من هما قال هذا أبي وهذا عني قال فإنا من قد علمت ورأيت صحبتي لك فاخترني أو اخترهما فقال زيد ما أنا بالذي أختار عليك أحدا أنت مني بمكان الاب والعم ، فقالا ويحك يا زيد أختار العبودية على الحرية وعلى ابيك وعمك وأهل بيتك قال نعم فإني قد رأيت من هذا الرجل شيئا ما أنا بالذي أختار عليه أحدا ، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك أخرجه إلى الحجر فقال يا من حضر اشهدوا أن زيدا ابني أرشاه ويرثني ، فلما رأى ذلك أبوه وعمه طابت أنفسهم * .

فيه " تعيد البيت " بدل " تطين البيت " وبقية الكلام عن زيد متفق مع ما ذكره ابن سيد الناس .

تعليق :

لوردت هذا الكلام عن زيد — مع ما قد يحسه القارئ به من طول —
لما له من المعاني الرفيعة والادب العالي في الكرم والشهامة والنبيل وحسن
المعاملة ، هذا من ناحية المضمون .

أما من ناحية الشكل والتعبير فهو في منتهى الجمال والروعة
والحكمة وفصل الخطاب ، انظر الى رقة المخاطبة وتقسيم العبارة في قولهما :

” أنتم أهل الحرم ، وجيرانه ، وعند بيته ، تفكون العائسى
وتطمعون الأسير . ”

وأجمل من هذه المخاطبة وأرق منها عبارة وأسلوباً قول الرسول
صلى الله عليه وسلم في الرد عليهما :

” فهلا غير ذلك ؟ قالوا ما هو ؟ قال ادعوه فخيروه فإن اختاركما
فهو لكما بغير فداء وان اختارنى فوالله ما أنا بالذى اختار على من اختارنى
أحدا . ” (١) ؟

ونجد فخامة العبارة وصدقها وأصالتها مع الإيجاز في ردهما الأخير
الأخير على مقالة الرسول الطيبة التى أثلجت صدورهم ” فان اختاركما فهو لكما
بغير فداء ” فجاءت عبارتهما الصادقة الموجزة المعبرة : قد زدنا على
النصف وأحسنتم ” (١) .

فهذه العبارة تدل على اصالة البدويين واحترازهم للجميل واشبات
الفضل لأهله .

٥ — حرف الضاد :

أورد فيه — ضرار بن الأزور — وقال عنه :
 " ضرار بن الأزور مالك بن أوص بن خزيمة بن ربيعة بن مالك بن
 ثعلبة بن ذودان بن أسد ، كان ضرار فارساً شاعراً وهو الذي يقول حين
 أسلم :

(١)
 جعلت القداح وقذف القيا
 ن والخمر تهلية وابتهالا
 وكري المحبر في عمره
 وجهدي على المشركين القتالا
 وقالت جميلة بدلتا وطرحا
 ست أهلك شتى شالا
 فيارب لا أغبنن صفقتي
 وقد بعث أهلي وسالي بذالا
 قال أبو عمر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما غبت صفقتك يا ضرار "

وأورد — ضوء اليشكري — وقال عنه :
 " ذكره سيف بن عمر التميمي في الفتوح قال عنه :

(١)
 انفتحت كتب التراجم على ترجمة ضرار كما جاء في الاصابة ج ٢ ص ٢٠٠
 والاستيعاب ج ٢ ص ٢٠٣ — وهناك اختلاف في أبيات الشعر فقد
 جاءت في الاستيعاب :
 تركت الخمر وضرب القيدا
 ح واللهم تهلة وانتهالا
 فيارب لا تغبنن صفقتي
 فقد بعث أهلي وسالي بذالا
 ونهم من ينشدها :

"كان باليمامة رجال مكتتبن بإسلامهم منهم ضوء" (١) اليشكري فقال
ضوء في ذلك :

ياسعد الفواد بنت أشمال
طال ليلي لفتة الرجال
إنها ياسعد من حدث الدهر
مر عليهم كفتة الدجال
فتن القوم بالشهادة والله
عزیز ذو قوة ومحال
إن ديني دين النبي وفي القو
م رجال على الهدى أمثال

٦ - حرف العين :

ذكر فيه - عبد الله بن جحش - وقال عنه :
"عبد الله بن جحش بن رثاب بن يعمر بن صير بن مرة بن كسير
ابن غنم بن دودان بن أسد بن خريصة يكنى أبا محمد ، وأمه أميمة
بنت عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قتل عبد الله بن جحش
يوم أحد شهيدا قتله أبو الحكم بن الاخنس بن شريف الثقفي ودفن هو
وحمة بن عبد المطلب وهو خاله في قبر واحد ."
وأورد له أبياتا من الشعر منها :

خلعت القداح وتذف القيا
ن والخراشربها والشمالا

"الاستيعاب ج ٢ ص ٢٠٣ ."

(١) ذكره صاحب الاصابة ج ٢ ص ٢٠٨ - وذكره الابيات مخ زيادة

بيت نصه ::

تعدون قتلا في الحرام عزيمة
وأعظم منه لو يرى الرشد راشد
صدودكم عما يقول محمد
وكفر بربه والله راء وشاهد
وأخراجكم من مسجد الله أهله
لئلا يرى في البيت لله ساجد
فلنا وإن غيرتمونا يقتله
وأرجف بالاسلام باغ وحاسد
شفينا من ابن الحضري وماحضا
بنخلة لما أوقد الحرب واقدا

وذكر — عبد الرحمن بن ذى الأجرّة (١) — وقال عنه :
" كان أحد الرهط الذين توجهوا الى قتل الأسيود المنس بأمر
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعه أخوة يزيد وفي ذلك يقول عبد الرحمن :
لعمري وما عمري على بهين
لقد جزعت قيس لقتل الأسيود
وقال رسول الله سيروا لقتله
على خير موعود وأسعد أسعد

اهلك القوم محكم بن طفيل
ورجال ليسوا لنا برجال
(٢) ذكره صاحب الاستيعاب ج ٢ ص ٢٦٣ — وقال عنه : ابن رباب بن
يعمر بن صيره . " بالياء الموحده " بخلاف ابن سيد الناس —
الذي أوردها — صيره — بالياء المشناه .
(٣) قال صاحب الاصابة ج ٢ ص ٣٩٠ — ابن ذى الآخرة الثمالى — بدل
الأجرّة — وذكر له نفس الترجمة وابتات الشعر ومناسبتها المذكورة .

فسرنا إليه في فوارس بهمة
على خير أمر من وصاة محمد
وصرنا إليه كلنا ذو حفيظه
وتبدرنا قيس بفضب مهنده *

وذكر - العباس (١) بن مرداس السلمي - وقال عنه :
" العباس بن مرداس السلمي ، ومرداس بن أبي عامر بن جارية -
يكنى أبا الفضل اسلم قبل فتح مكة بيسير وله في يوم جنين وما بعده اشعار
حسان ذكر ابن اسحاق وغيره جملة منها وهو القائل :
يا خاتم النبأ إنك مرسل
بالحق كل هدى السبيل هداكا
إن الاله بنى عليك محبة
من خلقه ومهدا أسماكا

٧ - حرف الفاء :

ذكر فيه - فروة بن مسيك - وقال عنه :
" ويقال له بن مسيك والاكثر ابن مسيك بن الحارث بن سلمة بن
الحارث ، قدم على النبي صلى الله عليه وسلم في سنة تسع وكان من وجوه
قومه ، عن ابن اسحاق قال : ولما توجه فروة بن مسيك الى رسول الله
منافقا لمؤك كده قال :

لما رأيت ملوك كدة أعضيت
كالرجل حار الرجل عرف نساءها

(١) ذكره ابن حجر في الإصابة ج ٢ ص ٢٧٢ - ولم يذكر أبيات
شعره هذه *

قرئت راحلتى أوم محمدا
أرجو فواضلها وحسن ثوابها (١)

وذكر — فضالة بن عَمِيْر — وقال عنه : " فضالة بن عَمِيْر بن الملووح اللبثى ، رويانا عن ابن هشام قال وحدثني من اثنى به من أهل الرواية قسى اسناد له عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس فقد ذكر خبراً ثم قال وحدثني ابن فضالة بن عَمِيْر بن الملووح أراد قتل النبي صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت عام الفتح فلما دنا منه قال رسول الله أخضاله قال نعم فضالة يا رسول الله ماذا كنت تحدث به نفسك قال لا شىء كنت أذكر الله قال فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال استغفر الله ثم وضع يده على صدره — فسكن قلبه ، فكان فضالة يقول والله ما رفع يده عن صدرى حتى ما خلق الله شيئاً أحب إليّ منه قال فضالة : فرجعت إلى أهلى فمررت بامرأة كنت اتحدث اليها فقالت هلم إلى الحديث فقلت لا وانهمت فضالة يقول :

قالت هلم إلى الحديث فقلت لا
يأبى عليك الله والاسلام
لو مارأيت محمداً وقبيلة
بالفتح يوم يكسر الأصنام
لرأيت دين الله أضحى بيننا
والشرك يفسى وجهه الإِسلام (٢)

- (١) ذكره صاحب الإصابة ج ٣ ص ٢٠٠ — وذكر له هذه الابيات بتعديل في الشطر الاول من البيت الثانى هكذا :
يمت راحلتى أمام محمد * — بدل — :
قرئت راحلتى أوم محمدا *
(٢) جاءت قصته هذه في الإصابة ج ٢ ص ٢٠٢ — وكذلك الابيات مع اختلاف في بعض الكلمات ، مثل — جنوده — بدل — قبيلة — قسى الشطر الاول من البيت الثانى — والبيت الثانى في الإصابة جاء هكذا :

٨ — حرف القاف :

ذكر فيه — قيس بن عبد الله — " النابغة الجعدي " وقال عنه :
" النابغة الجعدي واسمه قيس بن عبد الله بن عمرو بن عدس بن
ربيعة بن جعد بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، وكان قديما
شاعرا محسنا طويل البقاء في الجاهلية والاسلام ، وهو عندهم أحسن من
النابغة الذبياني ، وقال في الجاهلية كلمته التي أولها :

الحمد لله لا شريك له

من لم يقلها ففسه ظلما

وما أورد له من الشعر هذه الابيات :

أتيت رسول الله إذ جاء بالهدى

ويتلو كتابا كالمجرة نيرا

وجاهدت حتى ما أحس ومن معي

سهيلا اذا ما لاح ثم تفسورا

أقيم على التقوى وأوص بفعلها

وكت من النار المخوفة أحذرا (١)

وذكر — قيس بن سعد : وقال عنه :

" ابن سعد بن عباد بن ديلم بن حارثة بن أبي خزيمة بن ثعلبة
بن طريف بن الجموح يكنى أبا الفضل ، وأمه فكيهة بنت عبيد بن ديلم بن

لرايت رسول الله أصلح بيننا

والشرك يخشى وجهه الا ظلام

(١) ذكره صاحب الاصابة ج ٢ ص ٣٧ . ولم يذكر له هـ —
الابيات .

حارثة ، وأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم الراية يوم الفتح ، وصحب
قيس بن ابي طالب وشهد معه الجمل وصفين والنهروان هو وقومه وهو
القائل يوم صفين واللواء بيده :

هذا اللواء الذي كنا نخفيه

مع النبي وجبرئيل لنا مدد

ما ضر من كانت الانصار عينته

الا يكون له من غيرهم أحد

قوم اذا حاربوا طالت اكفهم

بالمشرفيه حتى يفتح البلد (١)

٩ - حرف الكاف :

ذكرفيه - كعب (٢) بن مالك - وقال عنه :

" ابن مالك بن كعب واسمه عمرو بن القين بن كعب بن سواد
يكنى أبا عبد الله وقيل أبا عبد الرحمن شهد العقبة الثانية ولم يشهد بدرا ،
البسه النبي صلى الله عليه وسلم لأمته يوم أحد وكانت صفراء ولبس عليه
السلام لامة كعب فجرح كعب أحد عشر جرحا " .

وأورد له هذه الابيات :

وفينا رسول الله نتبع أموره

اذا قال فينا القول لا يتطلع

(١) ترجم له صاحب الاستيعاب ج ٣ ص ٢٢٤ - ٢٣٠ وأورد له

أبيات الشعر هذه ٦

(٢) ترجم له صاحب الاستيعاب ج ٣ ص ٢٨٦ - ٢٩٠ ولم يذكر

هذه الابيات بل ذكر له شعرا آخر .

تدلى عليه الروح من عند ربه
ينزل من جو السماء ويرفع
نشأته فيما نريد وقصرنا
إذا ما اشتبهى أنا نطيع ونسمع

١٠ - حرف اللام :

ذكر فيه - لبید بن ربيعة - وقال عنه :
" ابن ربيعة بن عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب ، روينا من حديث
ابن هزيمة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (ما معناه)
أصدق كلمة قالها الشاعر لبید :
ألا كل شيء ما خلا الله باطل *

قال أبو عمرو هو شعر حسن فيه ما يدل على أنه قاله في الاسلام وهو
قوله :

وكل امرئ يوما سيعلم سعيه
إذا كشفت عند الله المحاصل
وقد قال أكثر أهل الأخبار ان لبیدا لم يقل شعرا منذ أسلم ،
وقال بعضهم لم يقل في الاسلام الا قوله :
ما عاتب المرء الكريم نفسه
والمرء يصلحه القرن الصالح (١)

(١) جاء في الإصابة ج ٣ ص ٣٢٦ :

ما عاتب المرء اللبيب نفسه
والمرء يصلحه الجليس الصالح

١١ - حرف الميم :

ذكر فيه - مالك بن حبيب - وقال عنه :

"مالك بن حبيب أبو محجن وقيل عبد الله بن حبيب بن عمر بن عمير
ابن عوف بن عقده - الثقفى كنيته أسلم حين أسلمت ثقيف وسمع من النبي صلى
الله عليه وسلم وروى عنه وكان من الشجعان الأبطال فى الجاهلية والاسلام" .

وروى له أشعارا منها هذه الابيات :

لَا غُرَبَيْنِ بِالْحَسَامِ الْمَرْهَفِ

عن دين رب ماجدٍ مؤلف

بين قلوب طالسا لم تألف

حتى آتاهما ببيان الشرف

محمدٌ ذو الفضل والترف

من عند رب جاء بالتلطف

وذكر - مالك بن النبهان ^(١) : وقال عنه :

"أبو الهيثم بن النبهان بن مالك بن عبيد بن عمر بن عبد الاعلم
البلدى ، ولا بى الهيثم يرثى النبي صلى الله عليه وسلم :

أَلَا قَدْ أَرَى أَنَّ الْمَنَى لَمْ يَخْلُدْ

لَأَنَّ الْمَنَايَا لِلنَّفُوسِ بِمِرْصَدِ

لَقَدْ جَدَعْتَ آذَانَنَا وَأَنْوَقْنَا

غَدَاةَ فَجَعْنَا بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدِ

(١) ذكره صاحب الاستيعاب فى الكنى ج ٤ ص ٢٠٠ - وقال - ابن -
النبهان - بدل النبهان - ولم يذكر له شعرا .

١٢ — حرف النون :

ذكر فيه بنوفل ^(١) بن الحارث — وقال عنه :

”نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف أخو
أبو سفيان بن الحارث ، كان أسن من أسلم من بني هاشم أخى رسول الله صلى
الله عليه وسلم بينه وبين العباس بن عبد المطلب ، وشهد مع رسول الله فتح مكة
وحنين والطائف وكان ممن ثبت معه يوم حنين * ”

وأورد له شعرا منه :

حرام عليّ حرب أحمد إنسى
أرى أحمد بن قريب أو أصره
وإن يك فهدر البتّ وتجمعت
عليه فإن الله لا شك ناصره

وقال نوفل لما أسلم :

إلّكم إلّكم إلّكم إننى لست منكم
تبرأت من دين الشيوخ الأكابر
لعمرك ما دىنى بشىء أبىعه
وما أنا مذ أسلمت يوما بكافر
شهدت على أن النبى محمد
أتى بالهدى من ربه والبصائر

(١) ذكره صاحب الاستيعاب ج ٣ ص ٣٧ ولم يذكر له هذه الاشعار.

ذكر النساء الصحابات

١ - حرف الهمزة :

أروى ^(١) بنت عبد المطلب - قال عنها :
" أروى بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، عمة النبي صلى
الله عليه وسلم ، أنشد لها محمد بن سعد ترثي النبي صلى الله عليه وسلم :

ألا يا رسول الله كنت رجائنا
وكنت بنا برّاً ولم تك جافينا
كأن على قلبي لذكر محمد
وما خفت من بعد النبي المكاوي
أناطم صلى الله رب محمد
على جد ثأمن بيثرب ثاويها

٢ - حرف الباء :

ذكر فيه - بركة أم أيمن ^(٢) - وقال عنها :
" بركة أم أيمن قال ابن سعد وقالت أم أيمن يعني بركة الحبشية
ترثي رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر أبياتاً منها :
وأبكتنا خير من رزقنا
في الدنيا ومن حصه بوحى السماء

(١) ذكرها صاحب الإصابة ج ٤ ص ٢٢٧ وذكر لها بعض هذه الأبيات .
(٢) ذكرها صاحب الاستيعاب ج ٤ ص ٢٥٠ ولم يذكر لها شعراً .

بدموع غزيرة منك حتى
يقضى الله فيه خير القضاء
فلقد كان ما علمت وصولاً
لقد جاء رحمة بالضعفاء

٣ - حرف الصاد :

ذكر فيه - صفة (١) بنت عبد المطلب - وقال عنها :
" صفة بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمها
هالة بنت وهب بنت عبد مناف بن زهرة بن كلاب أخت حمزة ، عاشت زمناً
طويلاً وتوفيت في خلافة عمر سنة عشرين ولها ثلاثة وسبعون سنة ودفنت بالبقيع ،
واسلامها وصحبته لا خلاف فيها بين أهل النقل ، ورثت النبي صلى الله عليه
وسلم بمراثي كثيرة رويها عن ابن سعد جملة منها فمن ذلك قولها :
عين جودي بدموع وسهود
واندبني خير هالك مقسود
واندبني المصطفى بحزن شديد
خالط القلب فهو كالمحمود
كدت أفسد الحياة لما أتاه
قد ر خط في كتاب مجيد
فلقد كان بالعباد رؤوساً
ولهم رحمة وخير رغبه

(١) ذكرها صاحب الاصابة ج ٤ ص ٣٤٨ - وقال عنها : وذكر لها ابن اسحاق من رواية ابراهيم بن سعد وغيره في السيرة أبياتاً مرثية فسي
النبي صلى الله عليه وسلم منها :
لقد رسول الله إذ حان يومه .
فياعين جودي بالدموع السواجم

رض الله عنه حياً وميتاً
وجزاء الجنان يوم الخلود

٤ - حرف الهاء :

ذكر فيه - هند (١) بنت أئاثه - وقال عنها :
” هند بنت أئاثه بن عباد بن عبد المطلب بن عبد مناف أخت مسطح
ابن أئاثه ه ذكرها محمد بن سعد فيمن رثى النبي صلى الله عليه وسلم ، وأنشد
لها من أبيات :

أصاب ذوائبي وأذلّ ركني
بكاؤك فاطم الميت الفقيد
فأعطيت العطاء فلم يكدر
وأخدمت اللوائه والمبيد
وكنيت ملاذنا في كل كرب
إذا هبت شامية برودا
وإنك خير من ركب المطايا
وأكرمهم إذا نسبوا جدودا
رسول الله فارقنا وكنّا
نرجى أن يكون لنا خلودا
فاطم فاصبري فلقد أصابت
رزقيتك التهام والنجودا

(١) جاء عنها في كتاب الإصابة ج ٤ ص ٤٢٢ :
بنت أبان بن عباد بن المطلب أخت مسطح ، ولم يذكر
شعرها .

٢ - كتاب المقامات العلية في الكرامات الجليلة

وصف للكتاب
وأخذ مقتطفات منه
~~~~~

المقامات العلية ، لابن سيد الناس كتاب صغير يقع في ست وعشرين  
صفحة من الورق المتوسط ، وهو مخطوط ومصور بمشهد المخطوطات في شريط  
واحد متصل مع كتاب منح المدح \*

وموضوعه كما قال صاحبه :

( في ذكر جماعة من الصحابة رضي الله عنهم رويت لهم كرامات ظاهرة  
وأحوال باهرة ) \*

وقد بدأه بقصيدة روحية رقيقة استهلها ببث شوقه وهيامه وتصوير  
ذلك بمخاطبة السارين المدلجين القاصدين زيارة " طيبة " وساكنها عليه  
الصلاة والسلام \*

وانتقل بعد ذلك إلى ذكر جماعة من الصحابة وكراماتهم ولتتضح لنا  
صورة الكتاب الادبية ثقتطف هذه الابيات من القصيدة :

سرى الظلام بجذوة من أضلعي

واذا عدت الورد حسبك أدعني

وصل السرى بالسير لا متوانيا

واجف الكرى من بعد لين المضجع

واذا حللت بطيبة فلك الهنا

بما حللت من الجناح المسرع

واي يهيم به الفؤاد مقدس

كم لي لبعدي عنه أنه موجه

الحمد لله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الامام العالم العلامة  
في الدعاء الحمد لله المجدد ابو الفتح محمد بن  
ابراهيم سيد الناس الميرزا الميرزا  
امير الله بفوايده مدح سيد المرسلين  
وحيدر العالمين صلى الله عليه وآله  
وجهه وسلم تسليما كثيرا  
واذا دعوت الوزر خستك اذ مني  
واحد الكري من تغديين المخرج  
بما خللت من الحجاب المبرع  
كزلي لبغدي عنه انه موجع  
واختبر في الفؤاد مقدس  
واختبر في العبر حقيقه  
واختبر في السلام على النبي فطالما  
واختبر في فؤاد ان كان من طالع  
وعساك تجري ما ترى من لقي  
وعساك تجري ما ترى من لقي  
لا يستقيم اذ تذكر عهده  
حمد الشري فورا من العلاء  
سبحوا المثنوي الهاشمي فاحر  
اخر اصغر بندي الهدي ماضع  
والاصغر بندي الهدي ماضع  
لشخص المشارة والنداء والهدى  
راحم الامام الميرزا واعين ماضع

ظلمة

فانشرب به نسر المير تحيتي  
وايثث كما يث السقام تفجيس  
واقر السلام على النبي فطالما  
حملته نسمات بان الأجرع  
واحبس فؤادك إن تكن مثلي فما  
ألقي فوادي عند ذكره ممي  
وعساك تبدى ماترى من لهفتي  
وعساك تجرى ماجرى من مدممي

وتستمر القصيدة على هذا النمط الروحي العذب الذي يفيض بالحب  
العميق والشوق المتزايد إلى مثنوى الرسول الطاهر وحضرته العظيمة  
وتنتقل القصيدة من المناجاة وبث الشوق إلى ذكر شيء من معجزات الرسول  
ومعدها تخلص إلى الصحابة وكراماتهم ، ويبدأهم بابي بكر الصديق  
رضي الله عنه ، فيذكر أن مكسره قد جاءته الإمدادات من السماء ، مشورا  
إلى حروب الردة والانتصارات الباهرة التي أجزتها جيوش الصديق رضي  
الله عنه :

ولعسكر الصديق أمداد السماء .....

وبعد الصديق رضي الله عنه يذكر عمر وعثمان وعلى رضي الله عنهم  
أجمعين وشيئا من كراماتهم وتصحياتهم في سبيل العقيدة ، ويعدد بعد ذلك  
عددا من الصحابة وكراماتهم :

والقصيدة في معظمها إذا استثنينا الأبيات الأولى التي يبت فيها  
شوقه إلى جناب الرسول الأعظم ومثواه الطاهر وما يمني به النفس من الوصول  
إلى تلك البقاع — فإننا نجد لها لا تعدو أن تكون كأبي مظلومة من منظومات المتنون  
التي تخلص من الخيال الشعري وتعتمد على الأسلوب النظمي الجاف ، ويمكن

تسميتها منظرية في كرامات الصحابة رضي الله عنهم \*

وقد أعقب بعض الكرامات التي ذكرها في القصيدة بأسانيد لاثباتها  
نأخذ منها على سبيل المثال ما أورده في ذكر شهود الملائكة لحروب الردة  
في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، قال :

" أما شهود الملائكة الحروب التي كانت في خلافة أبي بكر الصديق  
رضي الله عنه فذكرها الثعلبي وغيره من المفسرين ، وذكر وثيمة بن الثعلبي  
ابن موسى في كتاب الردة في قتال خالد رضي الله عنه مسلمة : أن غلامين من  
أهل اليمامة من بني يشكر نظر احدهما في اليوم الاول من أيام القتال فقال لاخته  
هل ترى ما أرى قال نعم قال فما ترى قال أرى ملائكة تنزل من السماء بأيديها  
سيوف من نار تصرب وجوه القوم وأدبارهم قال فقد رأيت ، وذكر الخبر وذكروا فيه  
قولهما لخالد لقينا ملائكة السماء بأيديها سيوف من نار فحفظنا يوما كيوم بدر \*\*\* "

ومثل هذه الاسانيد والحكايات كثيرة ومتعددة في كتاب المقامات  
العلية لابن سيد الناس جاء بها لاثبات صحة ما يقوله وينقله منسوباً للصحابة  
من كرامات \*

وقد ختم قصيدته التي جعلها فاتحة لكتابه الصغير بالتوسل بالرسول  
صلى الله عليه وسلم والصلاة عليه وعلى آله وأصحابه الساجدين الراكعين :  
يا رب صل على النسبي وآله

وصحابه من ساجدين وراكعين

### ٣ - كتاب بشرى اللبيب بذكرى الحبيب

وصف للكتاب  
وأخذ مقتطفات منه

هذا الكتاب لابن سيد الناس مخطوط ومصور بمعهد المخطوطات ،  
يقع في أربع وتسعين صفحة من الحجم المتوسط ، وهو ديوان شعر في مدح  
الرسول وذكر شئ من معجزاته وخلقه العظيم .

وينظر في قصائد الديوان التي قد تطول أو تقصر نجد ها جميعا  
بعد مدح الرسول والمقدمة الغزلية او الوعظية التي تسبقه تتناول  
الصحابة الكرام ، وتثنى عليهم بما هم أهل له من شجاعة وتضحية وفداء وكرم ،  
وثبات خلف الرسول صلى الله عليه وسلم .

ويحتوي هذا الديوان على سبع وعشرين قصيدة في المدح ، وهو  
مبوب ومرتب على حروف المعجم كمادة كثيرة من أهل العلم والادب ، فأول  
قصيدة فيه تحت عنوان :

#### قافية الهمزة

نأخذ منها هذه الابيات :

يا خليلي ليلة الجوزائس  
ما احتياي في القلعة الحورائس  
كل دائي بها لسدي دوائس  
ودوائس بغيرها عين دوائس  
رشتني فما عدت حبة القلـ  
ب وقالت صبرا على بلوائس

بسم الله الرحمن الرحيم  
**قافله الجوراء**

أجل ليلة الجوراء ما أجت إلى القلعة الجوراء  
كل دأبي بها لدي دواي ودواي بغيرها عين دواي  
سقتني فاعدت حبة القلب وقالت صبرا على بلواي  
أن كل الجمال تحت لواي فلت كل الغرام تحت لواي  
فأطاعت مصارع الحيت يا سي ونعيم المحبت فيه رجاي  
وسواء لا ينيل مني فأنشيت وآلا فالجوق يا خري سواي  
فلت حسبي رضاك قالت فاملا لك أن كنت راضيا بفضاي  
ولك الف ذبا بحقوقه هنا ناعم الله استمع في النعما  
ومن من في من شهيد في حيوته تنفي لدار البقا  
فلت من لا ملوث فلك وإني أن الله من أسعد السعد  
عاهلتي ولم تخل جوشت عن عند ودني ولا اشت عن ولاي



ويستمر الشاعر في غزله الى أن يتخلص منه تخلصا الى السديح  
قائلا :

خل عن خلة الحسان فما دا  
م وداد من خلة حننا  
وأمدح الهاشمي أحمد ذا النج  
دة والباس والندی والحياء

وتسير القصيدة على هذا الوزن والقافية الى نهايتها مترسة طريق  
همزية حسان بن ثابت رضي الله عنه :  
عفت ذات الاصابح فالجوا  
الى عذراء منزلها خلا

وأخذه من روح همزية ابن الفارض :  
ارج النسيم سري من الجوزاء  
سحرا فأحيا ميت الأحياء

ومتتمة عبير همزية البوصيري :  
كيف ترقى رقيق الأنبياء  
ياسماء ما طاولتها سماء  
لم يساووك في علاك وقد حا  
ل سنائك دونهم وسناء  
إنما مثلوا صفاتك لنا  
من كما مثل النجوم السماء

وسار البابودي وشوقي في هذا الدرب ايضا فجاءت لهم قصائد عسما  
على هذه القافية في مدح الرسول وَمَنْ لَا يترنم من عشاق المدائح

النبوية بقصيدة شوقي :

ولد الهدى فالكائنات ضياء

وفهم الزمان تبسم وشماء ؟

### قافية الناء

تحت هذه القافية أورد صاحب الديوان قصيدة مدح سهلة في معانيها  
خفيفة في أسلوبها وعباراتها ابتدأها بالنزل الرقيق كمادة شعراء المدح ففى  
تلك الفترة قال :

رام من ريم الفـلاة

بعض تلك اللفات

فهو للوحش أنى

س ألف للفلوات

يا سليما يتغنى

بأهيل السلمات

وسمير النجم شو

قما للبيالى السمرات

ثم تخلص من النزل الى المدح تخلصا حمنا بهـذه  
الآبيات :

أيها الهائم لا يفـ

تؤ يهوى الفتيات

عنه عن سلمى وسيل

ما ترتجيه النجاة

وامدح الماحى ان \* احببت محو السيئات

وسنتعرض لهذه القصيدة بشيء من الإفاضة عندما نأتي لتحليل  
شعره ، وهى تذكرنا بكثير من التائيات المشهورة فى المدائح النبوية  
كتائية دعبل الخزاعى :

مدارس آيات خلت من تلاوة  
ومنزى وحي مقفر المصنعات  
وغيرها .

### قافية الجيم

فى هذا القافية أتى صاحب الديوان بقصيدة مدح نبوى لم يستعملها  
بالغزل وذكر الاحبة الطاعنين والنوح على أطلالهم ، وانما استعملها بشيء  
استجدّه عشاق وشعراء المدائح النبوية فى العصور الأخيرة ، وهو تنزيه الاله  
سبحانه وتعالى وتمجيد اللجوء اليه والاعتماد عليه قال :

من المرتجى إن كان بابك مرتجا  
وأى رجاء فى سواك لمن رجى  
الى أن قال :

فلا يبرج غير الله فى كل حالة  
فما فاز إلا من به علق الرجاء  
تنزه عن عصر وأين ومثبه  
وكيف وتجسيم وما مثل الحجا  
وليس بمولود ولا هو والبد  
هو الله ملجأ من إلى قصده لجا

ثم اتخذ معبرا الى مدح الرسول به هذا البيت فأحسن

التخلص من تنزيه الاله الى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم \*

منفتحت بإرسال النبي محمد

هدى منك يهدى من لتوحيدك الثجا

واختتم القصيدة بهذين البيتين في الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم  
وهما يشتملان على استعارات رائعة وصور تمثيلية بديعة :

عليه صلاة الله ثم سلامه

مدى الدهر ما أهدى الرياض بنفسجا

وما زار مخضر الرِّيا الغيم باكيا

فأضحك ثغر الأُخوان المفججا

وعلى هذه الطريقة وهى الاستهلال فى المدائح النبوية بتنزيه الاله  
وتجيدته والثناء عليه ثم الخلوص من ذلك الى المدح ذهب كثير من شعراء  
المدائح النبوية فى المصور الأخيرة \*

تعليق :

هذا الوصف الموجز وهذه المقتطفات من هذه الكتب لابن سيده  
الناس قصدت بها اعطاء صورة عابرة لهذه الكتب ومادتها الادبية باعتبارها  
أثرا من آثاره الادبية ، ولم أقصد الاستقصاء والتحليل ، وقد أرجأت ذلك  
إلى باب فى دراسة شعره ونثره \*

## ٤ - كتاب : عيون الاثر في فنون المفازي والشمائل والسير -----

من الآثار العلمية ، الادبية ، التاريخية ، التي تحوى قدرا كبيرا  
من تراثنا العربى الاسلامى لابن سيد الناس ، كتابه المشهور :  
( ( عيون الاثر ) )

وهو كتاب مطبوع فى جزئين يشتمل على سيرة الرسول صلى الله عليه  
وسلم من ولادته الى وفاته ، وما وقع فى خلال ذلك من جلائل الاعمال التى  
غيرت وجوه تاريخ البشرية من همجية وفوضى الى مدنية ومثل انسانية .

ويحتوى الكتاب أيضا على سيرة عدد كبير من الصحابة ويورد اشعارهم  
التي أوجبت المناسبة ذكرها ، وهو يتكون من جزئين :

١ - يقع الجزء الاول منه فى ثلاثمائة وست صفحات ، بما فى ذلك مقدمة  
الناشر ، وترجمة المؤلف ومقدمة الكتاب مواضع اصطلاحات ورسوم  
للمؤلف .

وفى مقدمة الكتاب ترى ابن سيد الناس يعمد الى السجع  
والمحسنات البديعية من جناس ومقابلة وغيرها ، على طريقة النشر  
فى عصره . فهو يقول :

الحمد لله محلى محاسن السنن المحمدية بدر أخبارها ، ومجلى  
ميامن السيرة النبوية من غرر آثارها ، وهذه الظاهرة نجدتها  
فى جميع مقدمات كتب ابن سيد الناس فى السيرة النبوية وغيرها .

وبعد المقدمة والحديث عن ابن اسحاق دخل فى موضوع الكتاب

وهو السيرة النبوية ، فبدأ بذكر نسبه صلى الله عليه وسلم ، وختم  
هذا الجزء بالحديث عن سرية زيد بن حارثة رضى الله عنه .

وأكثر ما يسترعى الانقباه فى هذا السفر من مؤلفات ابن سيد الناس  
هو عنايته وتحقيقه فى رواية الأخبار وأسانيدها ، وتوضيح الفرائب ،  
وشرح الغوامض وذكر الفوائد التى تتعلق بالشعر وضبط أسماء الأماكن  
التي ترد فى السيرة النبوية بالشكل لسلامة النطق وعدم التحريف .

٢ — ويقع الجزء الثانى من الكتاب فى ثلاثمائة وخمسين صفحة من الحجم  
المتوسط .

وقد بدأه بفروة أحد ، وذكر أخبار عنها وفوائد تتعلق به — هذه  
الأخبار ، ثم ذكر من شهد أحدا من الصحابة وشيئا من أشعارهم ،  
ومن مميزات هذا الكتاب كما ذكرنا توضيح غوامض أشعار تلك المدة  
وأرجاعها إلى أصولها ، وإظهار معانيها ، مثال ذلك ما أورده فى  
قصيدة كعب بن زهير عند قوله :

فإن كنت لم تفعل فلست بأسف

ولا قائل إما عثرت لماً لك

سقاك بها المأمون كأساً رويّة

فأنه لك المأمون منها وعسل

قال :

” والمأمون النبى صلى الله عليه وسلم ، وكانت قريش تسميه  
أيضاً بالأمين . ولماً ، كلمة تقال للمأثر دعاء له بالاقالة .

ومن توضيحاته فى هذه القصيدة قوله :

تهلت المرأة فواد الرجل ، رهقه بهجرها فقطعت قلبه .

ومحلول من الملل وهو الشرب الثانى ، والاوّل النهل ...

وغير هذا ومثله كثير فى الكتاب من توضيح غرائب الجمل والمفردات  
وارجاعها الى أصولها فى قواميس اللغة المعروفة .

وكان ختام هذا الجزء ذِكْر الاسانيد للمؤلفين الذين أخرج من  
كتبهم ، وذِكْر تواريخ النسخ والساعات .

ويتميز هذا الكتاب بالدقة فى التهجى ، والترتيب ، والعرض .

\* \* \*

## المدائح النبوية في عصر ابن سيد الناس

- ٦٧١ - - ٧٣٤ هـ -

في القرن السابع الهجري وهو القرن الذي عاش فيه أبو الفتح بن سيد الناس ، شاعت المدائح النبوية شيوعاً لم يسبق له مثيل ، وتفلسف الشعراء في تلك المدائح ، وإن اعتمدوا على زخرف اللفظ والجبري وراء المحسنات البديعية حتى سميت أكثر قصائدهم بالبديعيات لاشتغالها على كثير من ألوان البديع المختلفة .

ف نجد ابن سيد الناس قد نظم مدائحه الرقيقة في ديوانه المسمى " بشرى اللبيب بذكرى الحبيب " في تلك المدة ، ولا شك أنه تأثر بجو عصره العام ، ومن عاصره واعترف من علمهم وأدبهم أمثال البوصيري الذي شرب من معينه وأخذ عنه ماله من قصائد مشهورة فمدح الرسول صلى الله عليه وسلم تأثر بها الكثيرون كالبردة التي شاعت في الأوساط الأدبية وراقت كثيراً من الشعراء فحاكوها وطأروها .

ونلاحظ هنا أن ابن سيد الناس لم يجار معاصره فيحاكي أو يعارض قصيدة البردة تهما لاستاذة البوصيري مع أنه جراه في محاكاة لامية كعب بن زهير حيث نظم قصيدته " عدة المعاد في معارضة بانة سعاد " ومطلعها :-

قلبي بكم يا أهيل الحى مأهول

وجله بأمان الوصول

مقتفياً أثر البوصيري في قصيدته " نذر المعاد في معارضة بانة سعاد " ومطلعها :-

الى متى أنت باللذات مشغول

وأنت عن كل ما قدمت مسئول



وعموما فإن قصيدة البردة كانت ملهمة ورائدة لكل من ورد هذا المورد الحذب بعد البوصيري أمثال ابن حجة الحموي صاحب البديعية المشهورة :-

لنى فى امتداحكم يا عَرَبَ ذى سلم  
براعة تستهمل الدمع فى العليم  
بالله سِرِّبى فسيرِّبى طلقوا وطنى  
وركِّبوا فى ضلوعى مطلق السقم

وقد نالت بديعية ابن حجة الحموي شهره كبيرة فى عالم البديعيات مع ما بها من تكلف وصنعة وخلوها من روح الدائع النبوة ، وأكسثر نقاد هذا النوع من الأدب يميزون شهرتها الى ما تميزت به من الصناعة اللفظية والإكثار من المحسنات البديعية .

ومن البديعيات التى اشتهرت أيضا قصائد ابن نباته المصرى -

١- الهمزية ومطلعها :-

شجون نحوها العشاق فـاءوا

وصبرى ما له فى الصبر راء ،

٢- الرائية ومطلعها :-

صحا القلب لولا نعمة تخطى

ولمعة برق بالفضا تسمى

٣- العينية ومطلعها :-

يادار جيراننا بسفح الأجرع

ذكرتك أفواه الفيثو الممّيع

٤- الميمية ومطلعها :-

أوجز مديحك فالمقام عظيم  
من دونه المنشور والمنظوم (١)

ومن مشاهير القرن السابع الذين أسهموا في مجال المدائح النبوية  
ابن دقيق العيد ، وقد كان من اساتذة ابن سيد الناس الأجل ، قال  
يمدح النبي صلى الله عليه وسلم :-

شرف المصطفى رفيع عماده  
ليحي يحيى بكثرة تَعَدَادُهُ  
لاح للمهتدين منه سراج  
بيد الله قدحهم وزناده  
بعثه بعث كل خير وسيلا  
د الهدى والتقى ميسلاده

من قصيدة طوله \*

وقد كان أغلب أصحاب البديعيات من المتصوفة الذين مدحوا النبي  
صلى الله عليه وسلم عن حب عميق صادق ، وعلى رأسهم الامام البوصيري  
الذي روى لنا قصة برده بأنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام  
عقب ذلك وضع عليه برده جزاء وفاقا لهذا العمل العظيم فانتبه من  
نومه ونهض سليما معافى \*

والمعروف أن التصوف قد شاع في ذلك العصر وشاعت معه قصائده  
المديح النبوى ، ولهذا الشيوع اسباب يذكر لنا بعضها الدكتور صافى  
حسين فيقول :-

١ - " أولا - تلك الظروف السياسية التي اظلت مصر والشام طيلة  
القرن السابع الهجرى فقد كان السلطان فى أيدي الأيوبيين ،  
وهم الكراد وورثه عنهم المماليك وكانوا من الترك ، وذلك يحسب

(١) المدائح النبوية فى الأدب العربى ، د / زكى مبارك ص ٢٤٩

بطبيعة الحال فى نفوس أهل مصر والشام اذ سوادهم الاعظم كان من  
الجنس العربى \*

٢ - " ثانياً - ما كان عليه الحال فى مصر والشام من محاولة  
الصليبيين ثم التتار للقضاء على الاسلام \*

٣ - " ثالثاً - كان الشعب فى مصر يكون طبقه تختلف فى تقاليدها  
وأخلاقها عما كانت عليه طبقه المماليك فالمماليك يعتزون بما لديهم  
من القوة والثلبه والسلطان ، أما سكان مصر والشام فليس لهم  
ما يعتزون به سوى الدين الذى سوى بين الأحمر والأصفر والحاكم  
والمحكوم وجعل الناس سواسية كاسنان المشط \*

٤ - " رابعاً - ومن العوامل التى أدت الى ذبوع هذا الفن فى الشعر  
فى القرن السابع أن الشعراء لم يجدوا من يشجعهم على قرض  
الشعر من ذوى الجاه والسلطان ولذلك حرموا عطاء كثيراً وخيراً  
عما كانوا يتطلعون اليه ويأملون أن يصل الى أيديهم \* " (١)

يقول الدكتور ماهر حسن فهمى :-

" وفى القرن السابع الهجرى كانت الحروب الصليبية مشتعلة امتد  
لهيبتها الى مصر ، وتتابع الهزات ، يوقد الحافطة الدينية وجعل الناس  
يلجأون الى ربهم وإلى الرسول صلى الله عليه وسلم ينتفون النجاة " (٢)

لقد أدت تلك العوامل مجتمعة الى تحرك عواطف الشعراء وتحرقها  
فى حب النبى صلى الله عليه وسلم الذى هو فخر العرب والمجم ، وهى

---

(١) الأدب المصوفى فى مصر فى القرن السابع الهجرى ص / ٣٥٦ د / على  
صافى حسين ، (٢) شوقى وشعره الاسلامى ص ١٨٠ د / ماهر  
حسن فهمى \*

عواطف جياشه صمها الشعراء في قصائدهم قاصدين التنفيس عن أنفسهم  
وأن يخففوا وطأة الألم وكثرة الاحزان التي يعيشون فيها صباح مساء ،  
لقد اتجهوا الى النبي صلى الله عليه وسلم يمدحونه بتلك القصائد الرائعة  
ومتوسلون به الى الله لعله يكشف الضر ويفرج الكرب حتى تستقر النفوس  
وتهدأ القلوب .

( وممد )

هذه عجالة سريعة أقيت بها ضوءاً على المدائح النبوية في عصر  
ابن سيد الناس ، قصدت بها أن تكون مدخلا لي على مدائحه النبوية .

\*\*\*

::(الباب الثاني)::

شعره وخائضه

## الفصل الأول

دراسة مقارنة في قصيدتين في المدح

بينـــــــــــــــــه وـــــــــــــــــين البوصيري

١ - قافية الهمزة

٢ - قافية السلام

تحت قافية الهمزة قال شعراء كثيرون في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم قبل البوصيري وابن سيد الناس ومحدثهم <sup>(١)</sup>

من أوليك السابقين سيدنا حسان <sup>(٢)</sup> بن ثابت رضي الله عنه شاعر

(١) البوصيري - ٦٠٨ - ٦٩٦ هـ - ١٣١٣ - ١٣٩٦ م - هو محمد ابن سعيد بن حماد بن عبدالله الصنهاجي البوصيري المصري ، شرف الدين أبو عبدالله ، شاعر حسن الديباجة مليح المعانسي ، نسبته الى بوصير " من أعمال بني سيف بمصر " أمه منها ، وأصله من المغرب من قلعة حماد من قبيلة يعرفون ببني جنسون ومولده في بهشيم من أعمال البهنساوية بمصر ، ومنشأته في دلاحيه ، ومن أشهر شعره " البرد " و " الهمزة " وطاوس " بانت سعاد " - فوات الوفیات ج ٣ ص ٣٠٥ .

وذكر في تحقيق ديوان البوصيري ص ٧ الطبعة الثانية ١٣٩٣ هـ ، ١٩٧٣ م ابن سيد الناس فيمن أخذوا عنه الشعر والنوادر ، نص ما قيل " وأما الذين أخذوا عن البوصيري فمنهم أبو حيان الأندلسي المتوفى سنة ٧٢٥ هـ بالقاهرة ، وأبو الفتح بن سيد الناس اليعمري المتوفى سنة ٧٣٤ هـ ، وعزالدين بن جماعة المتوفى سنة ٧٣٥ هـ . وسيدو أنهم أخذوا عنه شعره ونوادره .

(٢) حسان بن ثابت ، رضي الله عنه - " ٤٠٠٠ هـ ٦٧٤٠٠٠ م " ابن المنذر الخزرجي الأنصاري أبو الوليد الصحابي شاعر النبي صلى الله عليه وسلم ، وأحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام ، عاش ستين سنة في الجاهلية ومثلها في الإسلام ، وكان شديد الهجاء فحل في الشعر ، قال المبرد في الكامل : - أعرف قوم كانوا في =

الرسول صلى الله عليه وسلم الأول والمدافع عن الإسلام بما هو أشد ممن  
وقع الحسام ، حيث قال قصيدته الهزمية الرائدة التي ألهمت كل ممن  
جاء بعده ، وقد بدأها بذكر الديار على عادة السابقين من الشعراء ،  
قال :-

غنت ذات الأصابع فالجـواء  
الى عذراء منزلها خلاء  
ديار من بنى الحساس قعر  
تعفيها الروامس والسمااء  
وتدرج فى قصيدته الى أن وصل الى مدح الرسول صلى الله  
عليه وسلم :-

وجبريل رسول الله فينا ،  
وروح القدس ليس له كفاء  
وقال الله قد أرسلت عبدا  
يقول الحق ان نفع البلاء ،  
ومن السابقين فى هذا الميدان أيضا ابن الفارض رضى الله عنه ،  
وقصيدته الروحية :-

أرج النسيم سرى من الجوزاء  
سحرا فأحيا ميت الأحياء

---

= الشعر قوم حسان فأنهم يعدون ستة فى نسق كلهم شاعر ، توفى  
حسان فى المدينة \*  
\* تهذيب التهذيب - ٣ : ٢٤٧ والأصابع / ١ : ٣٣٦ ، ونكبت  
الهيمنان ١٣٤ \*"

مترددة على كل لسان في مجالس العاشقين .  
هؤلاء هم السابقون ، وهناك غيرهم من الرجال ممن لا يسع المجال  
لذكرهم .

والهصيري هو فارس هذا الميدان وخصوصا في قصيدته الهزمية هذه  
التي نحن بصدد ها ، وهي تفوق قصيدة تلميذه ابن سيد الناس في عدد  
الابيات وفي الأسلوب والمعاني ، وهذا ما يتضح لنا بالمقارنة والموازنة  
والتحليل .

نص القصيدة تسعين :-

قال ابن سيد الناس :-

يا خليلي ليلمة الجـوزاء  
ما احتيا لى فى المقلبة الحوراء  
كل دأى بها لدى دوائى  
ودوائى بها عـين دأى  
رشتنى فـاعـدت حبة القلب  
ب وقالت صبرا على بلوائى  
ان كل الجمال تحت لوائى  
قلت كل الفـرام تحت لوائى  
فأجابت هـمارع الحب يأس  
ونعميم المحب فيه رجائى

\* \* \*

خل عن خلسة الحسان فسادا  
م وداومت خلسة حـمـنا  
وامدح الهاشمى أحمد ذا النجم  
دة والباس والندى والحياء



من قريش أولى سعد بن عدنا  
ن بفضل الآباء والأبناء  
من قصى أقصاهم شرفا من  
أباد الملوك ففى البطحاء  
من بنى هاشم بن عبد مناف  
ونو هاشم بحار الحياء  
من قريش البطاح من عرف النا  
س لهم فضلهم بخير امتراء  
نسب جماوزت محاليه قدرا  
أن يسامى بانجم الجوزاء  
رحمة الله والبشير لأهل الأر  
ض طرا امام أهل السماء  
أول الناس فى المعاد وفودا  
أشرف الخلق خاتم الأنبياء  
خصه الله بالعلماء فارتقى ما شا  
ء منها فى ليلة الإسراء

\*\*\*

كم شفى اللبس منه داء غالا  
صار منه ملموسه فى شفاء  
ومرور اليمسين منه على السدا  
للمن يشتكى أجل السدا  
وعلى الصلح ينبت الشعر سهطا  
سالم بعد ذا من الأسواء

\*\*\*

صاحب الحوض والشفاعة يسو  
م الموضعت وأول الشفاعة  
رافع الكرب عن جميع البرايا  
كامل الأصر كاشف الغما

\*\*\*

فاعد عني يسارب من سيئاتي  
فيه ثم لي اليك التجاني  
وأجزني من موقاتي بحسب  
ل طه وحب أهل العباء  
فهم عصاة الاله ونور منك  
باق يجلو رجلي الظلماء  
فصاتي عليهم من صلاتي  
وهم في الخطوب أرجو نجاتي  
وعلى الصطفى صلاتك والا  
ل جميعا وجه الانتقام

وقال البوصيري :-

كيف ترقى رقيك الأنبياء  
يا حماء ما طاولتها مماء  
لم يساووك في علاك وقد حا  
ل سنا منك دونهم ومناء  
انما مثلوا صفاتك للنساء  
س كما مثل النجوم السماء

\*\*\*

لم تنزل فى ضمائر الكون تختها  
ر لك الأمهات والآباء  
تباهى بك العصور وتسمو  
بك عليها بعدها عليها  
هدا للوجود منك كريم  
من كريم آباء كريم  
نسب تحسب الملا بحاله  
قلدتها نجومها الجوزاء  
جذا عقد سؤدد وفخار  
انت فيه اليتيمة العما

\* \* \*

مولد كان منه فى طالع الكف  
ر وصال عليهم ووالد  
فهنئنا لآمنة الفضل  
ل الذى شرفت به حواء  
من لحواء أنها حملت أحد  
مد أو أنها به نفسها  
يوم نالت بوضعه ابنة وهب  
من فخار ما لم تله النساء  
وانت قوميها بأفضل مما  
حملت قبل مريم المذراء

\* \* \*

وتدلت زهر النجوم اليه  
فأضاءت بضوئها الأرجاء

ونساء قسور قيصير بالمسور  
م يراها من داره الهطحياء  
ومدت فسى رفاعه مجرات  
ليس فيها عن العيون خفاء  
اذ ابتسه ليتمه مضمات  
قلن ما فى اليتيم غنا غنا  
فأنته من آل سعد فتاة  
قد أبتها لفقرها الرضعا  
أرضعته لبائها فسقتها  
ونمىها ألبائهن الشاء  
أصبحت شولا عجافا وأست  
ما بها شائل ولا عجفاء

\* \* \*

واذا سخر الآله أناسا  
لسعيد فأنهم سمدا

\* \* \*

وأنت جند وقيد فضلكه  
وما بها من فضاله البرحاء

\* \* \*

ألف النسيك والعبادة والخلع  
وة طفلا وهكذا النجاء  
واذا حلت الهداية قلبا  
نشطت فسى العبادة الأغصاء

\* \* \*

ورأته خديخه والتقى والزهد  
يهد فيه سجية وحياء

\*\*\*

فدعته الى الزواج وما أحـ  
سن ما يبلغ المني الأذكيا

\*\*\*

رب ان الهدى هداك وآيا  
تك نور تهدي بها من تشاء  
أخرجوه منها وآواه غبار  
وحمته حمامة ورقبها  
وكفته بنسجها عنكبوت  
ما كفته الحمامة الحصدا

\*\*\*

واقفنى اشره سراقه فاستهـ  
وتبه فى الأرض صافت جرداء  
ثم ناداه بعد ما سيمت الخـ  
ف وقد ينجد القرمق النداء  
فطوى الأرض سائرا والسـ  
ت العلا فوقها له اسراء  
فصف الليلة التى كان للمخـ  
تار فيها على البراق استواء  
وترقى به الى قاب قوسـ  
يمن وتلك السيادة القماء

\*\*\*

كرمت نفسه فما يخطر السوء  
على قلبه ولا الفحشاء  
هظمت نعمة الأله عليه  
فاستقلت لذكوره العظماء

\* \* \*

شقى عن صدره وشقى له البعد  
ر ومن شرط كل شرط جزاء

\* \* \*

دريت الشاة حين مرت عليها  
فلها ثروة بها ونماء  
نهج الماء أثمر النخل في عا  
م بها سحت بها الحصاء

\* \* \*

وأعادت على قتادة عينا  
فهي حتى ماتته النجلاء

\* \* \*

تلخيص ودراسة :-

- ١ ( استهل ابن سيد الناس قصيدته بنسب عذب رقيق فقال :-  
يا خليلي ليلة الجوزاء \* ما احتيالى في العقلة الحوراء  
واستمر في حوار وأخذ ورد مع محبوبته وأطال في ذلك السى أن  
تخلص منه تخلصا حسنا الى غرضه المنشود وهو المدح فقال :-  
خل عن خلعة الحسان فسادا  
م و داد من خلعة حسناء  
وأمدح الهاشمي أحمد ذا النجـ  
دة والبأس والندى والحياء  
وانتقل بعد ذلك الى نسبه وذكر فضل آبائه وأجداده صلى الله  
عليه وسلم ، فقال :  
من قريش أولى معد بن عدنا  
ن بفضل الآباء والأبنـاء  
الى أن قال :-  
نسب جاوزت معاليه قسدا  
أن تصامى يانجـم الجوزاء  
ثم ذكر أنه أول الخلق في الوفود الى أرض الحساب يوم القيامة  
وأنه خاتم الأنبياء :-  
أول الناس في المعاد وفودا  
أشرف الخلق خاتم الأنبياء  
وانتقل الى الأسراء والمعراج الذي خصه الله به :-  
خصه الله بالملأ فارتقى  
ما شاء منها في ليلة الأسراء

ولم يزل راقيا سماء سماء  
ففى العظميين من سنا وسنا  
وتحدث عن معجزاته صلى الله عليه وسلم ، وأن لسه يكفى لشفاء  
المريض ، ومن يده يكفى لأنبات شعر الصلع وشفاء الأعين العليلة :-

كم شفى اللبس منه داء غيالا  
صار منه ملموسه ففى شفاء  
ومرور اليميين منه على الداء  
لمن يشتكى أجسل السدرا  
وعلى الصلح ينبت الشعر سهطا  
سألما بمد ذا من الأسواء  
وكذا المين العليلة صحت  
فهو كحل للمقله الرمداء

وتحدث بعد ذلك عن حوضه المورود وشفاعته الكبرى يوم المرض :-

صاحب الحوض والشفاعة يسو  
م المرض عمت وأول الشفماء  
رافع الكرب عن جميع البرايا  
كامل الأصغر كاشف الغماء

وانتقل بعد ذلك الى الاستغاثه والدعاء والتوسل :-

فاعف عني يارب من سيئما  
نى فيه فم لي اليك التجاى  
وأجرنى من موقاتنى بحسبى  
آل طه وحب أهل العباء  
فبهم عممة الألسه ونور  
منك بواق يجلو دجى الظلماء



فصلاش عليهم من صلاتي  
وهم في الخطوب أرجو نجاء  
وختتم القصيدة بطلب الرحمة من الله بالصلاة على النبي صلى الله  
عليه وسلم وصحبه الأتقياء ن  
وعلى المصطفى صلاتك ولا  
ل جميعا وصحبه الأتقياء  
ما دجى الليل فأنجلي عن صباح  
واستقل الصباح نحو المساء

\*\*\*

( ب ) أما البصير فقد استهل قصيدته العصماء بالدخول في موضوع  
المدح مباشرة بدون مقدمات في الفزل أو النسيب ، بل اقتحمها  
بهذا الاستفهام المنبه للاذهان :-

كيف ترقى رقيق الانبياء  
ياسماء ما طاولتها سماء ؟  
ومعد أبيات رائعه في المدح انتقل الى ذكر نسبه صلى الله عليه  
وسلم ن

ودا للوجود منك كريم  
من كريم آباءه كريماء  
نسب تحسب الملا بحلاه  
قلدتها نجومها الجوزاء  
هذا عقد سؤدد وفخار  
أتت فيه اليتيمة العصماء

وانتقل بعد ذلك الى مولده صلى الله عليه وسلم وأنه كان وبالا  
وباء على الكفرة ، وقد حصل بمولده الشرف الذي عم كل الامهات

حتى حواء ، وقد نالت آمنه بنت وهب الفخر الذي لم تتله النساء بمولده ،  
وجاءت لقومها بأفضل الانبياء وسيد المرسلين :-

مولد كان منه في طالع الكف  
ر وقال عليهم ووا  
فهنيئاً به لآمنة الفض  
ل الذي شرفت به حواء  
من لحواء انها حملت اح  
مد أو انها به نفاء  
يوم نالت بوضع ابنة وهب  
من فخر ما لم تتله النساء  
وأنت قومها بأفضل مم  
حملت قبل مريم العذراء

وتحدث بعد ذلك عن رضاء وكيف أن حليلة السعدية سعدت به  
وأخصب عيشها بعد المحل ، وسمنت الشارف والشياه لديها بعد العجاف  
ودرت وسقت الأبناء وأهل البيت حتى أروتهم ن  
وسدت في رضاءه معجزات  
فأتته من آل سعد فتاة  
قد أبتهما لفرها الرضاء  
أرضته لباها فسقتهما  
ونيهما ألبانهن الشاء  
أصحت شولا عجاناً وأست  
ما بها شائل ولا عجفاء  
أخصب العيش عندها بعد محل  
ان غدا للنبي منها غدا

وأعقب ذلك بأبيات في الحكمة جرت مجرى الأمثال :-  
وإذا سخر الأله أناسا  
لسميد فأنهم سميداء

\*\*\*

وإذا حلت الهداية قلبا  
نشطت للمباداة الأعضاء

\*\*\*

رب ان الهدى هداك وآيا  
تك نور تهدي بها من تشاء  
وانتقل الي ذكر المعجزات ، فذكر قصة الفار والحمامة والعنكبوت :-  
أخرجوه منها وآواه غار  
وحقته حمامة ورقباء  
وكفته بنسجها عنكبوت  
ما كفته الحمامة الحصيداء

وذكر قصة سراقه بعد ذلك ، وكيف ان قوائم فرسه صاخت فسي  
الأرض الصلبة حتى طلب الأمان من الرسول صلى الله عليه وسلم ففتح له ايساء  
فأسلم وطاد من حيث أتى :-

واقنقنى اثره سراقه فاستهوت  
ه فى الأرض صافن جرداء  
ثم ناداه بعد ما سيمت الخـ  
ف وقد ينجد الفريقت النداء

وتحدث عن الأسراء والمعراج وما حدث فيهما من معجزات ، فقصد  
طوى الله له المسافات والأبعاد ، وامتنى الطائر اليمون المسمى السبراق ،

وزار بيت المقدس وعرج الى السماوات العلا واقترب من ربه قاب قوسين أو أدنى فكلّمه الله وأعلى مقامه وفرض عليه وعلى أمته الصلاة ، كل هذا فى ليلة واحدة -

فَطَوَى الْأَرْضَ سَائِرًا وَالسَّمَاءَ  
أَتَ الْمَلَائِكَةَ فَوَقَّهَا لَهُ اسْرَاءُ  
فَصَفَّ اللَّيْلَةَ الَّتِي كَانَ لِلْمَخْتَارِ  
رَ فِيهَا عَلَى الْبَرَقِ اسْتَوَاءُ  
وَتَرَقَّى بِهِ إِلَى قَابِ قَوْسَيْنِ  
نَ وَتِلْكَ السَّيَادَةُ الْقَمَسَاءُ

الى أن قال :

فَإِذَا مَا تَلَى كِتَابًا مِنَ اللَّهِ  
هَ تَلْتَهُ كَتِيبَةً خُضْرَاءُ

وبعد ذلك تحدث عن مكارم أخلاقه صلى الله عليه وسلم ، من  
طهارة القلب ، وحلم النفس ، وسعة الحلم :-  
كَرُمَتْ نَفْسُهُ فَمَا يَخْطُرُ السُّوءُ  
عَلَى قَلْبِهِ وَلَا الْفَحْشَاءُ  
جَهِلَتْ قَوْمُهُ عَلَيْهِ فَأَغْضَى  
وَأَخُو الْحِلْمِ دَائِبُهُ الْأَغْضَاءُ  
وَسِعَ الْعَالَمِينَ عِلْمًا وَحِلْمًا  
فَهُوَ بِحَرِّ لَمْ تَحْمِيهِ الْأَعْيَاءُ

ثم عاد الى المعجزات ، فذكر در الضرع اليابس ، ونبع الماء ،  
وإثمار النخل ، وتسبيح الحصى ، وعودة عين " قتاده " سليمة بعد أن فقئت  
وفقدت الأبصار :-

درت الشاة حين مرت عليها  
قلها ثروة بها ونماء  
نبتع الماء أثمر النخل في عا  
م بها سبحت بها الحما

الى أن قال :-

وعيون مرت بها وهي رمدا  
فأرتها ما لم تير الزرقاء  
وأعادت على قتادة عينا  
فهي حتى ماتته النجلاء

\* \* \*

واستمرت القصيدة على هذا النسق العذب الذي يشف عن  
حب صادق عميق الى أن ختمها بالسلام على النبي صلى الله عليه وسلم  
والصلاة عليه :-

فسلام عليك تترى من الله  
وتبقى به لك البقاء  
وسلام عليك منك فما غيا  
رك منه لك السلام كفاء  
وسلام من كل ما خلق الله  
لتحيا بذكرك الأملاء  
وصلاة كالمسك تحمله منى  
شمال اليك أو تكبلاء

\*\*\*

تعليق وموازنة :

(١) ابتداء ابن سيد الناس قصيدته بالنسب على عادة القدامى ، أما البوصيرى فقد دخل فى موضوع المدح مباشرة ، وهذا يدل على تمكن البوصيرى وموضوعيته .

(٢) اتفق الشاعران فى ذكر بعض المعجزات كالأسراء والمعراج ، وشفاء المرضى بالمس واللمس ، ورد عين قتادة ، وذكر نسبه الشريف ، وتوسع البوصيرى فى ذلك فذكر قصة الغار والحمامة والعنكبوت ومولده صلى الله عليه وسلم ورضاعه وفصاله وشق صدره ، وفى كل هذه المعانى يمكن أن نعتبر أن اللاحق وهو ابن سيد الناس استفاد من السابق وهو البوصيرى .

(٣) وصف ابن سيد الناس ممدوحه صلى الله عليه وسلم ، بالنجدة والباس والندى والحياء ، ووصف البوصيرى ممدوحه صلى الله عليه وسلم بطهارة القلب وحلم النفس وسعة العلم .

(٤) ولنا أن نقول بعد ذلك لقد امتاز البوصيرى بسعة معانيه ورقتهما وطول نفسه وصدق عاطفته وخياله الشعرى الذى يترك المستمع يحيش فى تلك الرحاب الطاهرة .

ولا شك أن الخيال الرائع المثير وليد العاطفة الصادقة المتقدة .

(٥) يؤخذ على الشاعرين أن المعانى التى تناولوها فى المدح قديمة مطروقة طرقها أصحاب السير ورواة التاريخ الإسلامى ، إلا أن جمال التصوير ، ورقه التعبير ، وصدق العاطفة ، والخيال الرائع المثير كل هذه الاشياء جعلت الأسلوب يضفى على المعانى روعة ومهابة وجدة .

(٦) اغرق الشاعران في ايراد بعض الحكم دعما لما أوردها من معان ،  
الا أن حكم البوصيري كانت أقوى في معانيها واجمل في أسلوبها  
وأسير على الألسن .

كقوله نـ

وإذا سخر الألسن أناسا

لسميد فأنهم سميداء

وقوله :-

وإذا حلت الهداية قلبا

نشطت للمباداة الأغصاء

(٧) وإذا جاز في شريعة الأدب لأمثالي من المبتدئين أن يصدروا  
أحكاما في الموازنة الأدبية على قدر مداركهم وعقولهم فأنى  
أقول :-

لقد كان للبوصيري فضل السبق الى صوغ المعاني ووضعها  
في قالب أدبي لم يسبق اليه ، كما كانت له الأستاذية في جمال  
الأسلوب وحسن السبك ، وكانت لابن سيد الناس الرقة والعذوبة  
التي تميز بها عن استاذه البوصيري ومن جاءوا بعده من المادحين .





وهذا أصبحت " بانت سعاد " هي القصيدة الأولى في هذا الباب التي جادت بالأسلوب والمعاني مما فجارها الكثيرون .

ومن الذين ساروا على نهجها الأمام البوصيري وابن سيد الناس وأبو حيان الأندلس في قصيدته " المورد العذب في معارضته قصيدة كعب " والقاضي محي الدين بن عبد الظاهر ، وابن نباتة المصري ، وغيرهم .

ومن الذين خمسوها شعبان بن محمد ، ومطلع تخميسه :-

قل للعواذل مهما شئتموا قولوا

فليس لى بعد من أهواه معقول

ناديت يوم النوى والدمع مسحول

بانت سعاد . . .

وأحمد بن محمد الجرجاني ، وغيرهم .

وشرحها كثيرون منهم مسعود بن حسن بكري ، القنائي ، وأسم شرحه " الاسعاد لحل نظم بانت سعاد " ومحمد صالح السباعي ، وأسم شرحه " بلوغ المراد على بانت سعاد " وأحمد بن محمد اليمسني ، وغيرهم حتى أصبح شرح بانت سعاد من المراجع النحوية التي يرجع اليها فيقولون كما في شرح بانت سعاد . (١)

ما تقدم نعلم أن بانت سعاد لكعب بن زهير قد أثرت اللقطة والأدب وأصبحت مدرسة رائده ومعلمه في المدائح النبوية .

وقد ترسم الشعراء خطوات هذه القصيدة خطوة خطوة حتى فسى

---

(١) المدائح النبوية في الادب العربي - د . زكي مبارك ص ٢٥ - ٢٨

الاسلوب والتنقل من غرض الى غرض آخر ، فقد بدأ كعب بالفزول ووصف  
الديار ، وكذا فعل اكثر من قال بعده ، لهذا نحس أن كعب بن زهير  
بقصيدته هذه كان - هو الصائح المحكي - وكل من جاءوا بعده كانوا  
مرددين لصداه ، وسائرين على حذاه ، ومن بين اولئك البوصيري وابن  
سيد الناس اللذين نحن بصدد الدراسة والمقارنة بين قصيدتيهما \*

نص القصيدتين :-

قال ابن سيد الناس :-

قلبي بكم يا أهيل الحي مأهول  
وحيله بأمانى الوصول  
ولست ألوى على عذر ولا عزل  
ففى المحبة معذور ومعزول

\*\*\*

ياراحلين وما أبقوا سوى رمق  
منى له عن دواعي الأنس ترحيل  
سرتهم فما أعشب الوادى ولا بسمت  
أزهاره وغدا مغباه تطليل

\*\*\*

إذا بدت لك أعلام النبی بها  
وشملها برداء المجد مشمول  
فاعذر فؤادك أن طار السرور به  
شوقا اليه فمعه الصبر محمول

\*\*\*

محمد خير خلق الله كلهم  
من أخبرت عنه سمواة وأنجيل  
من جاءت الكتب والرسل الكرام به  
وأعربت عنه آيات وتنزيل  
من طبق الأرض بالأنوار مولده  
شرقاً وغرباً وجنح الليل سدول  
والنهر غاض ونار الفرس قد خمدت  
وانشق إيوان كسرى فهو مخبول  
والشهب ترمى شياطين الضلالة اذ  
تسمو فتشمع ان لم يبق تضليل

\*\*\*

وفى حليلة اذ وافقت ومركبها يطوي  
وشارفها بالجهد مهـزول  
فدرت الشاة واستوفى رضا عنه  
أخوك والقوم من جهد مهـازل  
والعير خف أمام الركب ذا مسرح  
يمدو وحمل ما لا تحمل الفيل  
كفلتم آل سعد خير من حملت  
بسه اثني فيكم للسعد تكفيل  
وجاءك الملك المأمون طائره  
وحول ساحتك المود المطافيل  
فشق صدرك عما كان مني حدث  
لم ينج من مثله الرسل الأماثيل

\*\*\*

وفى الغمامة صدت حَرَّها جِسرة  
عن حر وجهك آيات وتحول  
والمعجز الأكبر القرآن جاء به  
فراقهم منه أيراد وترتيل  
وللبلاغه فرسان لهم خطيب  
وسحر شعر صحيح النظم منحول  
فراهم ذو القول منهم أن يعارضه  
ولن يعارض ذا الحق الأباطيل  
وفى انشاق أخيه البدر حين بدا  
فرقين واختلفت فيسه التمايل

\*\*\*

وخضه ليله الأسراء خالقــــــــــــة  
بمعجزات لها ذو اللب مذهول  
يحكى عن القدس نجلا بالحجاز له  
وما المعايين بالاهسام مدخول  
وللبراق وقد رام الجراح بسبه  
قال أئد بحبيب الله جبريل  
فما علاك كهذا المصطفى يشهر  
فقاله منه تويــــــــــــخ وتخجيل  
ورؤية الحق حق ما خصصت بسبه  
منها وليس لقول الله تهديل

\*\*\*

وفى سراقه إذ ساخ الجواد به  
فصده عن نشاط السعي تكميل

يوم بدر ينادي في عرشه  
سيهزمون فمشرق الشرك مثلول  
واستجيز الله وعد النصر فانقلب الـ  
أعداء صرعى فمكبول ومقتول

\*\*\*

والحديبية انهلت أنامله  
وطالب الورد عنه الورد مفصول  
فركوة الماء قامت بالضوء لهم  
فكم لهم غرر منها وتحجيل

\*\*\*

واستقبل الفتح في جيش يضيئ به  
رحب الفناء وسيف الرعب مقبول  
بكل أروع ضاح أسرته  
لله الى الحرب ترحيب وتأجيل

\*\*\*

يا أيها السيد الهادي الذي شرفت  
بما حوت منه أنصار مقبول  
يا رحمة عمت كل ذي بشر  
من الأنعام فتحجيل وتأجيل

الى أن قال :-

قد دنس الثوب مني جهل مفترف  
فهل أعود وثوبي منسوخ مفسول

وقال البرصيري - :

الى متى أنت بالذات مشغول  
وأنت عن كل ما قدمت مسؤول

\*\*\*

والمصطفى خير خلق الله كلهم  
له على الرسل ترجيح وتفضيل  
محمد حجة الله التي ظهرت  
بسنة مالهافى الخلق تحويل  
نجل الأكارم والقوم الذين لهم  
على جميع الأنام الطول والطول

\*\*\*

فالنيرة إتماماً وبتمتداً  
به وللجبر تعجيل وتأجيل

\*\*\*

وعنه أنبأ موسى والمسيح وقد  
اصنعت حواريه الغر البهاليل  
بانه خاتم الرسل المباح له  
من الفنائم تقسيم وتنفيذ

\*\*\*

علوم غيب فلا الأصاد حاكمة  
ولا التقويم فيها والتحويل  
اذ الهواتف والأنوار شاهدها  
لذى السامع والأبصار مقبول

ونار فارس أضحت وهي خامدة  
ونهر جامد والصبح مثل سول  
وهذا هدانا إلى الأسلام معشيه  
وهي الشياطين والأصنام تجديد

\*\*\*

ان رمت اكبر آيات وأكملها  
فهاك من محكم القرآن تنزيل  
هو الشفيح اذا كان المهاد غسدا  
واشد للحشر تخوف وتهويل

\*\*\*

أعلى المراتب عند الله رتبته  
فاعلم فما موضح المحبوب مجهول  
من قاب قوسين أو أدنى له نازل  
وحق منه له مشوى وتحليل  
سرى إلى المسجد الأقصى وعاد بسبه  
ليلا يراق يبارى السبرق هذلول

\*\*\*

ولا يرى في الثرى أثر لأخصه  
اذا مشى وله في الصخر توحيل  
دنا إليه حنين الجذع من شغف  
اذ ناله منه بعد القرب تزويل

\*\*\*

كم عاود البرء من اعلاله جسدا  
بلمسه واستيان العقل مخبول  
ورد الفين في رى وفي شبع  
اذ ضاق باثنين مشروب وماكول  
ورد ماء ونورا بعد ما ذهب  
ريق له بكلا العينين مفبول  
ومنيح الماء عذبا من اصابه  
وذاك صنع به فينا جرى النيل

\* \* \*

واغيرتا حين اضحى الفار وهو به  
كشيل قلبي محمور وماهول  
كانما المصطفى فيه صاحبه الص  
ديق ليثان قد اواهما غيل  
وجلل الفار نسج العنكبوت على  
وهن فياجذا نسج وتجليل

\* \* \*

والذئب والعيير والمولود صدقه  
والظبي افصح نطقا وهو مخبول  
قل للنصارى الالى ساءت مقاتلهم  
فما لها غير محض الجهل تعليل  
من اليهود استفدتم ذا الحبود كما  
من الشراب استفاد الدفن قابيل  
فان عندكم توراتهم صدقت  
ولم تصدق لكم منهم اناجيل



جاهدت في الله ابطال الضلال الى  
أن ظل للشرك بالتوحيد تهطيل  
شكا حسانك ما تشكو جموعهم  
ففيه منها وفيها منه تفليل

\*\*\*

وم يدور ان الاسلام قد طلعت  
به بدورا لها بالنصر تكحيل

\*\*\*

والخيل ترقص زهوا بالكات وما  
غير السيوف بأيديهم مناديل

\*\*\*

دامت عليك صلاة الله يكلمها  
من المهيمن ابلاغ وتصيل  
ما لاح ضوء صباح فاستسريه  
من الكواكب قنديل فقنديل

\*\*\*

تلخيص ودراسة : —

(١) ابتدا ابن سيد الناس قصيدته بخزل رقيق فى عبارة هادئة : —

قلبي بكم يا أهيل الحى مأهول  
وجبله بأمانى الوصل موصول

واستعذب الموت فى سبيل غرامه وهيامه : —  
لو لم أر الموت عذبا فى الفرام بكم  
ما شاقنى لحسام البرق تقبيل

وقد طال ليل انتظاره حتى خيل اليه انه لا ينقضى : —  
وطال ليلى حتى لا انتضاء له  
ولا يحيط به عرض ولا طول

وأطلق آهة حزنيه : —  
يا راحلين وما ابقوا سوى رمق  
منى له عن دواعى الانس ترحيل

واستمر فى غزله ونجواه الى أن أسفر صبحه وناداه يخفف من  
لوعته وأساه : —

ولا بدا الصبح الا قال قد سمرت  
سعاد يا كعبها كم أنت متبول

وفى هذا تلميح الى قول كمب بن زهير : —

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول

وأراد أن يعبّر عن غزله الرقيق العذب الى مدح الرسول صلى  
الله عليه وسلم فأحسن التلخيص بهذه الأبيات : —

رَدُّ ماء وجهك ان عزت مسواردها  
فكل صعب بها يحوره تسهيل  
وكلمنا صنت من دعى أضن بسنه  
على العقيق تراه وهو ميسر  
اذا بدت لك أعلام النبي بها  
وشملها برواء المجد مشمول  
ودخل في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ، فبدأ بتمجيد وتمظيم  
البقرة التي حل بها :-

واحلل بطيبة ازكى الأرض منزلة  
مفنى به برسول الله تفضيل

الى أن قال :-

محمد خير خلق الله كلهم  
من أخبرت عنه تورا وأنجيل  
والشطر الأول من البيت مطابق للشطر الثانى من قول البوصيرى :-  
فبلغ العلم فيه أنه بشر  
وأنه خير خلق الله كلهم

\*\*\*

ثم انتقل الى مولده صلى الله عليه وسلم ، وما صحبه من ارهاضات  
تنبه الأذهان الى الحدث العظيم والهدى البين الذى ولد بمولده  
صلى الله عليه وسلم نـ

من طبق الأرض بالأنوار مولده  
شرقا وغربا وجنح الليل مدول

والنهر غاض وشار الفرس قد خمست

وانشق ايوان كسرى فهو مبحول

وانتقل الى ارضاء صلى الله عليه وسلم ، فذكر من بركات ذلك

قصه حمار السیده حلیمة الهزبل الذی عاد یسبق غیره ، والشیاء الستی  
درت واروت القوم .

واكتفاه صلى الله عليه وسلم بشدى واحد وترك الآخر لأخيه ابن

حلیمة :

وفى حلیمة اذ رافت ومركها

یطس وشارفها بالجهد مهزول

قدرت الشاة واستوفى رضاغته

أخوك والقوم من جهد مهزول

ولم تشاركه فى شدى فأت على الد

إحسان والمدل مفطور ومجبول

واستمر فى سرد المعجزات والأمر الخارق للعاده مثل شسق

الملائكة لصدرة الشریف وظلیل الخمام له وغیر ذلك من المعانی المكرره

التي لا تكاد تخلو منها قصيده من قصائده ، فى المدح ،

وتكرار المعنى الواحد بأساليب مختلفة ليس عيا فى المدائح

النهمة ، لأن الجمال هنا يرجع الى الأسلوب ، وعرض المعنى الواحد

فى قوالب متعددة قد يكسبه تجديدا وحلاوة لاختلاف العبارات والتراكيب .

وقديما قالوا " المكرر أحلى " وخصوصا عند المجين والعشاق .

ثم انتقل الى غزواته صلى الله عليه وسلم ، وصبره وشجاعته ورباطه

جأش أصحابه ولأئهم العظيم طلبا للنصر والشهادة :-

واستقبل الفتح في جيش يضيق به  
رحب القضاء وسيف الرعب مقبول  
يكل أروع ضاح أسرتـــــــــــــــــه  
له السى الحرب ترحيب وتأهيل  
واختتم القصيدة بأبيات في الاستغاثه والتوسل وطلب المغفرة :-  
يا أيها السيد الهادي الذي شرفت  
بما حوث منه أنصار مقـــــــــــــــــول  
يا رحمة الله عمت كل ذي بشر  
من الأنام فتعجيل وتأجيل  
الى أن قال :-

قد دنس الثوب منى جهل مفترف  
فهل أعود وثوب منى مفـــــــــــــــــول ؟

(ب) - البصير :-

ابتدا قصيدته بمطلع وعظي :-  
الى متى انت باللذات مشغـــــــــــــــــول  
وانت عن كل ما قدمت مســـــــــــــــــول

وهذا المطلع يكون قد خرج على الطريقة التقليدية المألوفة عند  
أغلب من جرى قصيدة كعب بن زهير في الهداية بالفضل جمعاً  
لكعب .

ومعد أبيات عديدة في هذا الشأن خلص الى مدح النبي صلى  
الله عليه وسلم ، بأنه خير خلق الله ، وأنه نجل الأكابر :

والمصطفى خير خلق الله كلهم  
له على الرسل ترجيح وتفضيل  
نجل الأكرام والقوم الذين لهم  
على جميع الأنام الطول والطول

وذكر مولده صلى الله عليه وسلم ، وما حصل فيه من خوارق وآيات  
دالة على نبوته وعلو شأنه :-

كم آية ظهرت في حين مولده  
به البشائر منها والتهاويل  
علوم غيب فلا الأرصاء حاكمة  
ولا التقاويم فيها والتهاويل  
اذ الهوائف والأنوار شاهدا  
لذي المصالح والأبصار مقبول

ثم ذكر اكبر آياته صلى الله عليه وسلم ، وأفاض في تفاصيلها  
وهي القرآن الكريم :-

ان رمت اكبر آيات واكملها  
كهاك من محكم القرآن تنزيل  
وانظر فليس كمثل الله من أحسد  
ولا كقول أتى من عنده قيل

الى أن قال :-

لله كم أفضحت أفهامنا حكيم  
منه وكم أعجز الأبواب تأويل

وذكر بعد ذلك أنه صلى الله عليه وسلم الرحمة المهداة ، وأنه  
الشفيع الذي عليه الاعتماد يوم القيامة :-

وما محمد الا رحمة بعثت  
للعالمين وفضل الله هـذول  
هو الشفيح اذا كان المـماد غذا  
واشتد للحشر تخويف وشهـوـل  
فما على غيره للناس معتمد  
ولا على غيره للناس تمـوـل

ثم ذكر الأسراء :-

سرى الى المسجد الأقصى وعاد به  
ليلا يراق يبارى البرق هـذول

وذكر من المعجزات شفاء الجرح بلمسه ورد العقل الى فاقده وبـاركة  
الطعام ، ورد العين ، ونـهـج الماء ، ونزول الخيـث بدعائه صلى الله عليه  
وسلم :-

كم عاود البرء من إعلاله جسدا  
بلمسه واستبان العقل مخـبـول  
ورد الفين فى رى وفى شـبـح  
اذ ضاق باثنين مشروب وماكول  
ومـنـح الماء غـيـبا من أصابعه  
وذاك صنع به فينا جرى النيل

ثم ذكر قصة الفار ، وكيف أصبح عامرا وماهولا بوجود النـبى صلى  
الله عليه وسلم وصاحبه بداخله ، وشبههما باسدين رايضين فى اشجار  
ملتفه ، وكمل وصف الفار بذكر العنكبوت ونسجها الواهن عليه نـ

واغيرتا حين اضحى الفار وهو بـه  
كـمـل قلبى معمور وماهـول

لأنما المصطفى فيه صاحبه الص  
ديق ليشان قد أوامها غيل  
وجلل الفار نسج المنكوت على  
وهن فياجذا نسج وتجليس

ومعد سرد كثير من المعجزات دخل في مناقشة موضوعية مع النصارى  
واليهود ، والمعروف عن البوصيرى أن له إلماما بالتوراة والانجيل ، ومعتقدات  
اليهود والنصارى كما أن كثيرا من الذين جعلته بهم دواوين الحكومة من  
الموظفين كانوا من اليهوديين أو المنتصرين ، وكان يناقشهم ويناقشهم  
وقد يثور عليهم فيجوههم ويطل معتقداتهم .

من هذه الناحية جاءت مناقشته الأدبية هذه داخل قصيدة مدحه  
النبوية نـ

قل للنصارى الأولى ساءت مقالاتهم  
فما لها غير محض الجهل تعليل  
من اليهود استفدت من الجحود كما  
من الخراب استفاد الدفن قابيل  
الى أن قال :-

موتوا بخيظ كما قد مات قبلكم  
قابيل إذ قرب القرمان هابيل

وهذه الابيات تدل على الملم بالكتب القديمة ، وثقافته القرآنية  
الواسعة ، حيث ضرب لهم مثلا في قصه قرآنيه ، وانطلق البوصيرى بمسند  
هذا يناجى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويذكر محاسنه وفضائله التى لا تحصر  
وأيامه الخالده التى اضحت غرة فى جبين الدهر ، فذكر جهاده ،  
ونزول الملائكة لنصرته ، وموم بدر وموم أحد وغيرها .



واختتم قصيدته كمادة المادحين بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم :-

دامت عليك صلاة الله بكلمها  
من المهمين ابلاغ وتوصيل  
ما لاح ضوء صباح فاستمر به  
من الكواكب قنديل فقنديل

\* \* \*

تعليق وموازنة :-

(١) ابتداء ابن سيد الناس كغيره من شعراء المدح قصيدته بالفضل مجاريا كعب بن زهير ، وكان غزله غزبا في الاسلوب والمبارات والمعانى .

وكان استخدام المحسنات واضحا في أسلوبه كغيره من أصحاب البديعيات ، وذلك مثل قوله :-  
" معذور ومعزول " فان بهما جناحا ناقضا

وقوله " لحسام البرق تقبيل " فانها من باب اضافة المشبه للمشبه به ، ويمكن أن يكون في البرق استعارة مكنية ، حيث شبه البرق بأنسان وحذف المشبه به ورمز اليه بشئ من لوازمه وهو كلمة " تقبيل "

وكذلك قوله " بسمت أزهاره " و " الزهر مهتم " فالأنجاس بين الشكل والضمون حاصل في مطلع ابن سيد الناس الفزلي مع استخدام بعض المحسنات اللفظية واللجوء الى زخرفة المعنى بالاستعارات والتشبيهات وغيرها .

(٢) أما البوصيرى ، فانه ابتدا قصيدته بمطلع فيه زجر للنفس وحض  
على الزهد ، وطلب للاستعداد والتزود ليوم المعاد ، وكان  
أديبا منيّا ومنبهاً للمشاعر الدينية بتساؤله هذا :-  
الى متى أنت باللذات مشغول :  
وأنت عن كل ما قدمت مسؤول ؟

أما أسلمه فقوى رصين خال من التكلف جار على السليقة والذوق ،  
ومعانيه أصيلة نابغة من وجدان صادق وشعور متدفق مليس  
بالحب والإيمان .

(٣) وإذا اختلفا في البداية في مطلع قصيديهما فقد اختلفا في  
النهاية أيضا ، فبينما اختتم ابن سيد الناس قصيدته بالتوسل  
بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وطلب المغفرة حيث قال :-  
قد دنس الثوب منى جهل مفترف  
فهل اعود وثوبى منه مسؤول ؟

اختتم البوصيرى قصيدته بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ،  
حيث قال :-

دامت عليك صلاة الله يكفلها  
من المهيمن ابلاغ وتوسل

(٤) أما المعاني فقد أتفقا في أغلبها - ويمكن أن نعتبر اللاحق  
استفاد من السابق - والمعاني التي ذكرها معا ، مثل  
المعجزات كشق الصدر ونسج المنكبوت وبيض الحماة والاسراء  
والمعراج وغيرها .

(٥) وعندما نأتى للمفاضلة بينهما فأنا نقول :-  
امتاز ابن سيد الناس برقه الغزل والنسيب في مطلعته :-

يا حادى العيس طارحنى حديثهم  
فما الحديث عن الأجباب ملول  
سَلِمَتْ ، مِلْ بى الى سلمى فمورها  
نيل الأمانى وفيه يُجَرُّ النيل

ونرى تقسيم الجمل ورقه المعنى فى قوله :-  
رَدَّ ماء وجهك ان عزت موارد هـ  
فكل صعب بها يحسوه تهليل

(٦) وانفرد البوصيرى بالتفصيل والاستقصاء وطول النفس وسهولة  
العبارة .

فى كل حادثه يذكرها يفصل ويستقصى حتى يلم بجميع أطراف  
الموضوع ، فمعتدنا ذكر معجزة القرآن فى قوله :-  
ان رمت أكبر آيات وأكملها  
كفاك من محكم القرآن تنزيل

استمر يفصل ويستقصى فى عظمة القرآن وأعجازه فى نحو ثمانية  
أبيات آخرها قوله :-

وما بعد آياته حق لمتبع \* والحق ما بعده الا الأباطيل

(٧) وما امتاز به البوصيرى فى قصيدته روح الجدل والمناقشة مع  
اليهود والنصارى مما يدل على الماه وسعة اطلاعه ، وذلك  
فى أبيات عديده فى قصيدته .

(٨) واذا كان للبوصيرى فضل سبق وطول النفس والاستقصاء ، فإن  
لابن سيد الناس دقه العبارة ورقتها وجمال الأسلوب وقصد  
وصفه معاصروه بأنه :- " صاحب الشعر الرائق ، والنثر الفائق " .

## الفصل الثاني

مختارات من قصائد ابن سيد الناس

دراسة وتحليل

### قافية التاء :-

بهذه القافية ابتداء ابن سيد الناس قصيدة من قصائده النبوية خفيفة الأيقاع ، غنية عند الاستماع سهلة في أسلوبها حلوة في كلماتها وجرسها الموسيقي .

وهذه القافية ليست جديدة على المدائح النبوية فقد جاءت بهذا قصائد خالده في المدائح النبوية قبل ابن سيد الناس ومعه .

ومن أبرز أولئك السابقين الشاعر الفحل دجل الخزاعي ، فقد قال تائيته المشهورة في مدح آل البيت ، وهي تمجيد وتخليد للنبي محمد صلى الله عليه وسلم مثلاً في عترته الطاهرة ورسالة الخالده وآله الكرام ، وهذا الذي يسمع مطلع الرائع الحزين :-  
مدارس آيات خلت من تلاوة

ومنزك وحي مقفر العرصات

فلا تأخذه جلاله الموقف ولا تهزه روعة الذكرى ( ١ ) ؟ ومن المتأخرين في الزمن عن ابن سيد الناس الذين أتت لهم قصائد في الذكرى النبوية على هذه القافية وكانت جيدة في بابها ، شاعرنا السوداني عبد الرحمن شوقي في ذكرى ميلاد النبي صلى الله عليه وسلم في الأربعينات وأنشدها في نادي الحزجين بأمر دربان ، ومن أبيات هذه القصيدة :-  
سلام الله يا عهد المواضي

وأيام الظبي والمرفعات

وعهدا فيه جبريل نسي  
يجي\* محمدا بالمعجزات  
ويدلى حجة من بعد أخرى  
تنزل لها جميع الراسيات  
يقول لهم اتيتكم رحيمًا  
لأجمع شملكم بمعد الشتات  
هلموا آمنوا بالله حقًا  
تعالوا للسلامة والنجاة<sup>(١)</sup>

والقصيدة طويلة أوردت منها هذه الأبيات للمثال فقط ، بمعد  
هذا الاستطراد نعود الى قصيدة ابن سيد الناس .

#### نصوص من القصيدة نـ

رام من رسم الفلاة  
بعض تلك اللفتات  
فهو للوحش أنيس  
ألف للقلوب  
يا سلیمان يتخني \* بأهيل السمات  
وسمير النجم شوقًا \* لليالى السمات  
ناديا أطلال سلمى \* بالدموع الزفارات  
أدمع تضم بالقلب \* أوار الزفارات  
وزفير يستميح الطير \* ف سح الحبرات  
عندما زمت مطايا \* ها لرمي الجمرات  
وحدى بالعيس حاد الـ \* بسون منها بالشتات  
قائلا ودعت أنيس لوداع الأنسبات

\*\*\*

(١) ملاح من المجتمع السوداني - منه تخيل ص ٥٨

أيها الهائم لا يفتؤ \* يهوى الفتيات  
عدعن سلمى وسل \* ما فترجيه للنجاة

\*\*\*

وامدح الماحى ان احدثت محو السيئات  
أحمد الهادى رسول الله رب المعجزات  
من هدانا بسنائه \* فى دياحى الظلمات  
وازال الشك عنا \* بزوال الشبهات  
وحما بالوحى لا \* يألو سيميل الترهات  
وآيات كتاب \* واضحات بهينات  
مراهين بدت عن معجزات سافرات  
مثل نبع الماء والاطعام عند الأزيمات  
وحنين الجذع يبكى ناي تلك الآلمات  
وانشقاق البدر حقا ليس فعل النافثات

\*\*\*

أوسع العالم غفوا عن جنایات الجنات  
وأتم الناس علما بخفايا المشكلات  
كرم سح فأزرى بانسكاب الهاطلات

\*\*\*

بعد ما خاض لحرب القوم لسج الفمورات  
فى سيفوف مصلتات ورممباح مشروعات  
وقلوب ليست فوق دروع سابقصات  
يسمين انجاد مفاسير محاريب حساة  
أسد غاب سمحوا فى حربهم بالمهجات

\*\*\*

لرسول الله مدحى وعلى الله صلاتى  
من قريش من قصى فنى سرى السروات  
من بنى هاشم المطعم ملهى الجفات

\*\*\*

يا شفيع الخلق أودى بى حمل المخللات  
اثقلت ظهري ذنوبى أوقتنى تهممات  
فاذا شفعت فى أهل الخطايا والمعصاة  
فأنا المذنب فاشفع والكثير الهفوات

\*\*\*

بك يا خير البرايا \* ارتجى نيل نجاتى  
بك أحللت رجائى \* بك انزلت شكائى  
بك فى الميزان أرجو أن توفى حسنائى

\*\*\*

فعليه من سلامى كل حسين وولاتى  
وعلى آل مع الأصحاب أهل المابقات  
ما بدا الصبح فأودى بالنجوم الزاهرات

\*\*\*

وقفه مع القصيدة :

( ١ ) في الفقرة الأولى وهى مجموعة الأبيات الفزلية فى مطلع القصيدة نلاحظ أن الشاعر لم يسلك مسلك سابقه من شعراء المدح الذين دخلوا فى موضوع المدح مباشرة أمثال دجبل الخزاعي ولم يسلك مسلك الشعراء المتصوفين الذين تحدثوا فى مطلع قصائدهم عن بنت الكرم ثم خلصوا الى غرضهم ، بل بدأ قصيدته بالفزل الرقيق ومناجاة الاحبه والطعائين والأطلال على طريقه شعراء العرب الأوائل .

( ب ) وإذا نظرنا الى هذه الأبيات من ناحية الشكل والضمون أو من ناحية اللفظ والمعنى ، فأتنا نجد الرقة والجزالة والموسيقى العذبة والجرس الرنان والكلمات الهادئة المعبزة .

كما نجد فيها من المحسنات اللفظية والمعنوية التى جرى عليها اصحاب البديعيات الكثير بدون تكلف أو معاناة .

مثل كلمة " رام ، وريم " فان بينهما جناسا - حيث اتفقا فى أغلب الحروف واختلفا فى المعنى .

ولفظه " انيس ، وآلف " فان فيهما مراعاة النظير ، فإن الأنس نظير للألف .

ولفظه " سليما " والسلامات " و " سمير ، والمصبرات ، وحدي ، وحادي ، وأنس والآنسات " .

كل هذه الكلمات بها محسنات لكنها جاءت بلا تكلف أو اخلال بالمعنى .





وسلم ، بالحلم ، والعلم ، والكرم ، وهذه معاني شائعة  
أكثر منها شعراء المدائح النبوية .

٥ - وانتقل في أبيات الفقرة الخامسة الى وصف ما عناه النبي  
صلى الله عليه وسلم ، من عناد وخصام من المشركين فسى  
سبيل دعوته ، وما خاضه من معارك لأجل نصرة الحق ،  
وفي هذا المقام وصفه بالشجاعة والثبات ، ووصف أصحابه  
الكرام بالتضحية والفداء .

٦ - وفي أبيات الفقرة السادسة خص النبي صلى الله عليه وسلم  
بالمديح ، وجعل لِلَّهِ سبحانه وتعالى الصلاة :-  
لرسول الله مدحى وعلى الله صلاتى .

ثم ذكر نسب النبي صلى الله عليه وسلم وأنه من قريش ،  
وجده قصي الذي تنسب اليه البطون القرشية ، وهو مسن  
بنى هاشم ، وهاشم مشهور عند القبائل الحوية بقرى الأضياف .  
٧ - وأبيات الفقرة السابعة في الاستغاثة وطلب الشفاعة ، والشكوى  
من ذنوبه .

وهذه ظاهره انتشرت وتأصلت في عهود الظلم في العالم  
العربي ، فأكثر شعراء المدح من الشكوى من أنفسهم ومسن  
حكامهم فأصبح لا ملجأ لهم الا الى الله والى رسوله يطلبون  
الأخذ بأيديهم في الحياة وبعد الممات .

٨ - وأبيات الفقرة الثامنة استغراق في الضراعة والدعاء والشكوى :-  
يا ربك أملت نجاتى .....  
يا ربك أحللت رجائى .....

وهذه الضراعة العميقة نحس بها عند كثير من شعراء ذلك العهد ، أمثال ابن الفارض ، والبوصيري ، وعبد الرحيم البرعي .

قال البوصيري في إحدى قصائده :-  
واقفك بالذنب العظيم المذنب  
خجلا يعنف نفسه ومؤنب

الى أن قال :-

ضاقن مذاهبه عليه فماله  
الا الى حرم بطيئه مهرب  
متقطع الاسباب من أعماله  
لكنه برجائه متسهب  
وقفت بجاء المصطفى آماله  
فكانه بذنوبه يتقرب

وقال عبد الرحيم البرعي في مرض ألمّ بابن له وأعيته الحيلة

في علاجه :-

ابنى دونك عبرتى وتنهدى  
كمدا عليك فكم أعيد وأبتدى  
ابنى مالى لمثلك حيلة  
لكن أمد الى ابن آمنه يمدى  
ان ضاف بى وك الخناق فلم يصق  
عننى وعنك عريض جاء محمد

وأبيات الفقرة التاسعة كانت خاتمة للقصيد بالصلاة على النبي  
صلى الله عليه وسلم ، والسلام عليه وعلى آله وأصحابه كسـ  
صباح جديد .

### تعليق :-

بنظرة سريعة الى هذه القصيدة النهمية نحس بالماطفة الصادقة والمعاناة النفسية العميقة ، وذلك يتضح لنا من خلال التعبير والتصوير وما تحمله الالفاظ والمعاني من احساس ومشاعر ، وتجلى صدق العاطفة في المعاني التي تنساب في النفس وتتجاوز السمع حتى تستقر هادئة مطمئنة في الأعماق .

ومعاناة الشاعر ومحبه الحقيقية تظهر في المعاني المكثرة التي لا يكاد يذهب عنها بعيداً إلا ليعود اليها ثانية وهذا يدل على عمقها وتأصلها في نفسه .

فهو يمدح الرسول صلى الله عليه وسلم بالشجاعة والحلم ، وكبر الآباء والأجداد ، ثم يعود الى ذلك ثانية في اسلوب آخر من غير ملل ولا سآمة .

وهذه التجربة الصادقة في محبة الرسول صلى الله عليه وسلم تأتي في اسلوب سلسل وعبارات جزلة وصور شائعة لا سيما صور الممارك وما فيها من خيل ودروع وسيف وأبطال وأهيين نفوسهم لله يستخون نصرا من الله ورضوانا .

## قافية الجسيم :-

- ٢ -

من الظواهر البارزة التي نجدها في هذه القصيدة ظاهرة  
اشتهر بها المادحون من شعراء الصوفية وغيرهم في القرون  
الأخيرة ، وهى الاستفراق فى تنزية الأله وتقديسه وتمجيدة  
ورفع أكل الضراعة اليه فى صدر القصيدة النبوية ثم الدخول  
بعد ذلك فى المدح .

وقد يطول الثناء على الله وتنزيهه حتى يصبح قصيدة كاملة  
وتسمى عندهم " بالربانيات " ويقصدون أنها متعلقة بسذات  
الرب سبحانه وتعالى .

ومن الذين اکتروا فى مدائحهم النبوية من الربانيات الصارف  
بالله الشيخ عبدالرحيم البرعى من علماء القرن الخامس .

قال فى احدى قصائده :-

من لا يقال بحال عنه كيف ولا  
لقلبه ليم تعالى ربنا الله  
ولا يفسيره سر الدهور ولا  
كر المصور ولا الأحداث تخشاه  
ولا يهجر عنه بالحلول ولا  
بالانتقال دنا أو ناء حاشاه

وقال فى قصيدة اخرى :-

ومن هو فرد لا نظيره ولا  
شبيهه ولا مثل به يتمثل

ومن كلت الأفهام عن وصف ذاته  
فليس لها في الكيف والأين مدخل<sup>(١)</sup>

وابن سيد الناس في قصيدته " الجيمية " هذه التي نحن  
بصدده الحديث عنها ذكر أبياتا في تنزيه الأله وتمجيده والثناء عليه ،  
ثم دخل بعد ذلك في المدح .

#### نصوص من القصيدة نـ

١ - من المرتجى ان كان بابك مرتجا  
وأى رجاء في سواك لمن رجاء  
إذا أمَّ غاص باب غفوك راجيا  
رأى غفوك المأمول أقرب مرتجى  
وفاز بما يرجوه حتى كأنه  
لما نال من غفوك بما قد جنى نجا  
فلا يرج غير الله في كل حالة  
فما فاز الا من به علق الرجاء

\* \* \*

٢ - تنزه عن عصر وأين ومثله  
وكيف وتجسيم وما مائل الحجا  
وليس بمولود ولا هو والسد  
هو الله ملجا من الى قصده لجا

---

(١) ديوان البرعى في المدائح الربانية والنبوه والصوفيه ص ٢٩ /  
حافظ حسن المسعودى - الطبعة الثانية ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م  
مطبعة مصطفى البابى الحلبي .

هو الصمد الفرد الذى لا تحده  
عقول له منا الثناء تارجا

\* \* \*

٣ - الهى كم أوليت سابغ نعمة  
حلت منها ما زال بالفضل ينهجا  
رويت ظمئنا وأشبعنا طامنا  
ولبيت مضطرا وأغيت ملفجا  
وأمنت من خوف وفرجت كربية  
وعافيت من داء وقويت أعوجا  
ومنك هدى التوحيد يسطع نوره  
فيسطو على ليل الضلال إذا سجا

\* \* \*

٤ - منبت بإرسال النبي محمد  
هدى منك يهدى من لتوحيدك التجا  
فأبدى منار الحق بعد خفائه  
كما لاح ضوء الصبح فى سدفه الدجا  
وأهدى الى الآفاق كل عزيمة  
من الدين يبدو صبحها متلجا

\* \* \*

٥ - توم جناب الهاشمى محمد  
وأنصاره الأنصار أوسا وخزرجا  
وما علموا أن الأله يمدده  
بجبريل فى الأملاك كالملك توجا

فما انقلبوا الا شديدا اساره  
ولا قتيلا فى الدماء مخرجنا  
ولا شريدا بالفرار مصيرا  
جانا اذا لاقى كيدا مدججا

\*\*\*

٦ - عليه صلاة الله ثم سلامه  
مدى الدهر ما أهدى الرياض بنفسجا  
وما زار مخضر الرىس الغيم باكيا  
فاضحك ثغر الأقحوان المفلجا

\*\*\*

#### وقفه مع القصيدة نـ

- ( ١ ) فى أبيات الفقرة الأولى نجد رفع ألف الضراعة الى الله والوقوف ببابه والألتجاء اليه .
- ( ٢ ) وفى أبيات الفقرة الثانية نجد تنزيه الله سبحانه وتعالى عن الزمان والمكان والأين وكيف وكل ما خطر بالعقل .
- ( ٣ ) وفى أبيات الفقرة الثالثة نجد تعدادا لنعم الله الكبيرة التى لا يحصيها المد والتى تستحق الاعتراف والشكر " لئن شكرتم لأزيدنكم " .
- ( ٤ ) وفى الفقرة الرابعة اعتبر ارسال الرسول محمد صلى الله عليه وسلم الى الخلق تفضلا وكرما ومنة منه سبحانه وتعالى على عباده .



وهذا المعبر عبر الى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ،  
بعد الثناء على الله وتنزيه ذاته والوقوف على باب فضله .

فمدحه بأنه أظهر الحق واضحا بعد خفائه ، وأرشد الخلق  
الى عظام الأمور فى الدين والدنيا ، وجاهد فى الله المشركين ،  
وأحب وأبغض فى الله .

( ٥ ) ومن الأبيات الرائعة المجسمة لوصف الممارك والى تنقلك  
الى ميدان القتال فتسمع وقع الخيل و صهيل السيوف ،  
وترى لحيان البيض وغار المعركة ، قوله فى الفقرة الخامسة ن  
فجالت مواضى البيض فى عرصاتهم

فأخلق ربح الأنس منهم وأنهجوا

وتحس بالسكون والوحشه ، والذعر والهلع الذى أصابهم ،  
والبور الذى خيم على ديارهم بعد الهزيمة فى هذا البيت :-  
دعا داعى البوار فأسرعوا

ونادى منادى البين فيهم فأزعجا

ونجد حسن التقسيم وجمال العبارة فى قوله :-

تلم جناب الهاشمى محمد

وأنصاره الأنصار أوسا وخزرجا

وفى قوله فى وصف الأعداء المنهزمين :-

فما انقلبوا الا شديدا إساره

والا قتيلا فى الدماء مفرحنا

والا شريدا فى المراعى مغيرا

جيانا اذا لاقى كيانا مدججا

٦ - كانت أبيات الفقرة السادسة خاتمة رائعته من الناحية البيانية والبلاغية ، وسأعرض لبيان ذلك فى التعليق .

تعليقى :-

بنظرة سريعة الى هذه القصيدة من ناحية الأسلوب والمعارات نجدها غنية سهلة ، ومن ناحية التشبيهات والاستعارات نجدها رائعة متعانقه ، وخصوصا فى البيت الأخير ، فقد جعل القيم انسانا يزور ، ولنا أن نقول فى اجراء الاستعارة شبه القيم بأنسان ثم حذف المشبه به ورمز اليه بشئ من لوازمه وهو زار على سبيل الاستعارة المكنية .

وفى " باكيا " استعارة أيضا حيث شبه نزول المطر بالبكاء - بجامع الأنهار فى كل - ثم استعار البكاء للنزول بكثرة وغسازة على سبيل الاستعارة التصريحية .

وفى " ثقر الأقحوان " استعارة مكنية حيث شبه الأقحوان وهو نوع من الزهر بأنسان له ثقر يضحك ، وحذف المشبه به وهو الأنسان ورمز اليه بشئ من لوازم وهو الضحك ، فى أضحك ثقر الاقحان .

ولنا أن نعتبر " ثقر الأقحوان " من باب اضافة المشبه به للمشبه ، ويكون المعنى - أقحوان كالثقر المفلج - .

وهذا البيت الأخير مع استعاراته العديدة المتعانقه يرسم لنا صورة كلية للأرض المخضرة المزدانة بالورود والازهار المفتحة والمطر ينزل عليها بغزاره فيزيد من بهجتها ونضرتها وجمالها .

وسعودتنا الى أول القصيدة نجد من المحسنات البديعية الجناس فى شطر البيت الأول " المرتجى ، ومرتجا " حيث اتفقت

الكلمتان فى اللفظ واختلفتا فى المعنى .

وفى قوله " وأنصاره الأنصار " جناس أيضا لأنه يعنى بأنصاره  
الأولى أتباعه ، والأنصار الثانية يقصد بها كلمة الأنصار التى تقابل كلمته  
المهاجرين عندما يذكر اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم .

ولنا أن نقول أن هذه القصيدة جرت على طريقته ناظمــــى  
المدائح النبوية فى الصور الأخيرة ، وهى قدر غير قليل من المحسنات  
اللفظية والمعنوية الا أنها جاءت من غير تكلف ولم تفسد المعنى ، بسبب  
جاءت بسهولة التعبير وروعة التصوير مع احتذاء شاعرنا ابن سيد الناس  
للسابقين له فى كثير من المعانى .

والمعانى كما يقول نقاد الأدب مطلق شائع للجميع يلبسونها  
ما يشاءون من الثياب ، والفضل للمبرز فى حسن الصياغة وجمال الأسلوب .



٢ - فهاها منيتي ما  
لى عنها من يسراج  
غير مدحى من به  
يشرف قدرى وامتداحى

\*\*\*

٣ - أحمد الهادى رسول الله  
ذوالمجد الصراج  
من محمد من قريش  
سادة العرب الفصاح  
من بنى هاشم المطر  
عم أندى مستباح  
سيد الرسل رجائى  
لنجاتى ونجاحى  
من به فخر بنى آدم  
ما فيه ملاحى  
من رواه الحسن منه  
لاح كالمصباح اللىحاح  
من سماكل سماه  
وكفى كل كفاح

\*\*\*

٤ - من به ختم مقال  
فتحها خير افتتاح  
أنبياء الله أهل السبا  
ق فى فوز القسداح

لا يجارهم سحاب لا  
ولا ممر الرياح  
وهو أعلاهم محلا  
نقل أخبار صحاح  
وله في الحشر جاء  
زنده غير شعاع

\*\*\*

٥ - يا رسول الله يا  
أكرم أرباب السماح  
طال شوقي وكأني  
وحنيني ونواحي  
نحوشوك فهل لي  
بمد جس من سراح ؟  
فأرى ما أتمني  
من مفانيك الفساح  
وأرى همنبرا من  
بسر نسك وصلاح  
وأرى في روضة الخلد  
د اغتافني واصطباحتني  
روضة من جنسية  
ما لي عنها من سراح  
وعلى طوعي الأمانني  
لو أتنى واقتراح

طرت أبغيتها وأنسى  
طار مقصودي الجناح ؟

\*\*\*

٦ - فأجرني يا رسول  
الله من سوء اجتراحى  
أنت ذخري وممادى  
وما لذي وسلاحى  
ومجيرى فنى ممادى  
من خطاياي القباح  
وذنبوب أوبقتى  
وها أخشى افتضاحى  
ما لها غير رسول  
الله آسى من جراح  
٧ - فمليه وعلى الأصحاب  
والأهل الصباح  
من صلاة وحيات  
وتسليم مقباح  
وشباء عطر الب  
أكوان من كل النواحى

\*\*\*

وقفه مع القصيدة :-

١ - أبيات الفقرة الأولى من القصيدة عبارة عن مقدمة فنى

الفضل والنسيب اتخذها الشاعر توطئة للمدح ، ونجد الأكتاف من استعمال المحسنات البديعية والتلاعب بالالفاظ مما يدل على تمكن ابن سيد الناس من صناعة الشعر .

من ذلك الجنس التام بين " صاح ، صاح " في البيت الأول .

فإن صاح الأولى يقصد بها النداء - أى يا صاحبي - وقد دخلها الترخيم وحذفت منها ياء النداء فأصبحت صباح . - صاح - الثانية - يقصد بها أنه غارق في حب ذات المشاح وغير فائق منه .

وقد جانس بين اللفظين مع اختلاف المعنى من غير تكلف ولا إخلال بالمعنى .

وجاء البيت الثانى وهو يحمل بين طياته مثل ما حمل الأول .

فبين كلمتي - لاح - في صدر البيت ، - ولاح - في عجزه جناس تام أيضا .

فلاح الأولى يقصد بها ظهور الشئ بعد اختفاء ، ولاح - الثانية - يقصد بها اللام والمآل ، ومع اختلاف الكلمتين في المعنى فقد جانس الشاعر بينهما دون تكلف .

وهذه المقدمة الفزلية الرقيقة تذكرنا بشاعرنا السوداني عثمان هاشم حيث قال في احدى قصائده الفزلية :-



هذى الحسان وذى كؤوس السراح  
فاشرب وغبن اليوم لى يا صاح

الى أن قال نـ

فدح المدير يكف عن كاساته  
وطوف لى بالرتيق لا بالسراح (١)

\*\*\*

٢ - وانتقل انتقلا حسنا من الفزل الى المدح ببيتى الفقيه  
الثانيه \*

وهذا يكون قد عبر محيط الفزل الى عالم المدح والهيام  
فى محبة الرسول صلى الله عليه وسلم بدون غناء \*

٣ - وفى مجال المدح الذى تضمنته الفقرة الثالثة ذكر أن النبى  
صلى الله عليه وسلم من سلالة طاهرة وأصل كريم ، فأبواه  
من سادة القرشيين وقادتهم الكرماء \*

وقد جرت عادة المادحين ورواة السيرة النبوية أن يصفوا  
الرسول صلى الله عليه وسلم بالجمال الحسى والكمال الخلقى ،  
وهذا ما فعله ابن سيد الناس أيضا :-  
من رواء الحسن منه

لا ح كالأصبح الليل  
من سماكل سماء  
وكفى ككل كفا

وتوالى النعوت والأوصاف فى الأبيات كإقامة المودة بين الناس

---

(١) ملاح من المجتمع السودانى - للاستاذ حسن نجيلة \*

بدل المداوة والبخضاء ، وإقامة الهدى بعد الضلال ، الى غير ذلك .

٤ - وفي أبيات الفقرة الرابعة وصفه صلى الله عليه وسلم بأنه خاتم الأنبياء ، وأعلام قدره وأنه صاحب الشفاعة الكبرى ففى الحشر ، وصاحب الكوثر المورود يوم القيامة .

وقد كرر هذه المعانى فى كثير من قصائده مع اختلاف الأسلوب .

٥ - وعند فى أبيات الفقرة الخامسة الى المناجاة وحث شوقه وحنيه الى شوى الرسول صلى الله عليه وسلم .

ثم جرى على عادة معاصريه من المادحين بتفضيل تراب المدينة المنورة على كل البقاع نـ

ترسة قد فضلت \* بطاؤها كل البطاح

وهجر عن مدى شوقه الى رؤية تلك البقاع فيصور نفسه بطائر مقصوص الجناح :-

طارت أبغيتها وأنسى

طار مقصوص الجناح ١٠ ؟

٦ - وجنح الى التوسل وطلب الاستجارة فى أبيات الفقرة السادسة ، ووصف الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه الذخر ، والملاذ ، والمجير والآسى من الجراح .

٧ - وكانت الفقرة السابعة صلاة وسلاما وتحية للرسول صلى الله عليه وسلم وأهله وصحابه .

### تعليق :-

فى تعليقنا على شكل هذه القصيدة وضمونها نقسول ان  
أسلوبها متين ، ونأءها رصين ، وأوزانها وقوافيها طيبة الوقع فسى  
النفس والسمع ، أما من ناحية الضمون فأن المعانى قديمة مطروقة ،  
فالفزل والنسيب الذى أخذ قدرا كبيرا فى صدر القصيدة برغم جماله  
وروعة خياله ، الا أن معانيه من المعانى القديمة التى أكثر منها  
الأدباء وخصوصا المادحون فى عصر ابن سيد الناس وقبله ، ومعانى  
المدح التى جاءت فى وصف شمائل الرسول صلى الله عليه وسلم من كسوم  
الأنساب وعلو الأخلاق وغيرها ، مذكورة فى العديد من كتب السير  
النبوية ولدى مؤرخى تلك المدة من فجر الأسلام ، فهى قديمة  
أيضا .

وإذا كان هناك فضل يمكن أن يضاف الى ابن سيد  
الناس فهو من ناحية الصياغة وعرض المعانى فى قوالب جديسة  
أكسبتها حلوة وجعلت السمع يقبلها والنفس تستلذها وتستوعبها  
من جديد .

وكم يلد المعنى وحلو وان كان قديما لجمال عرضه وتقديمه .

٤ - قافيه الدال :-

استهل ابن سيد الناس قصيدته التي تحت هذه القافيه  
بنسيب غذب وشوق وتذكّار للأحبة ومراتح الصبا .

نصوص من القصيدة :-

١ - ترى هل زمان الرقشين يعمود  
فتنجز من يمد المطال وعمود  
وهل لليالئ السفح سفح محجر  
رجوع فعمدي بالديار بعيمد  
ليالئ أطلقت العنان مع الصبا  
وقلبي بحب الثانيات عيمد

\*\*\*

٢ - وأصرف وجهي نحو مدح محمد  
فأرتج في روض الرضوي وأرد  
حيب الله العالمين ومن له  
من الله قرب ما عليه مزيد  
ما رهبة حتى السماوات دونه  
صمود به تمت لديه سمود  
وما نال سباق الى المجد حظه  
وان أسعفته أسعد وجدود  
سبوق فما قيد الأوابد انه  
ليمسك من الطرف عنه قيود

\*\*\*

٣ - من النفس النسر الذين سما بهم  
إِيَّاءَ وَإِيَّاءَ عَلُوا وَجِدود  
يُخَفَّافٌ وَرَجَسِي مِنْهُمْ الْبَاسُ وَالنَدَى  
وحسب الملاي بَاسٌ يَنْبَالُ وَجِدود  
بني هاشم أَقْصَى قُصَى عَلَّامَا  
لغيرهم فيمَا نَحْوَهُ صَعِيدود  
يلوذ بهم ركب الحبيج فكلهم  
الى باب عمرو في السنين وقود  
مرادهم عمرو اذا القوم استنبوا  
وعمره الملاي في المحلات مسود  
مضى وثناء منه باق مخلصد  
وللشكر عن ذاك الجميل خلود  
جدود علت قدر الجدود الأولى مشور  
وما كل مجد طارف وتليد  
يا أصلهم والفضل يزداد دائما  
وما كل فضل ثابت وزيد

\*\*\*

٤ - عليه من الله الصلاة معبادة  
يجود بها منا عليه مجيد  
ولآل والصحب الكرام كماله  
تكر عليهم دائما وتمسود  
مدى الدهر ما قامت حمائم أيكمة  
تنوح فتبدي شجوها وتعيد

وقفه مع القصيدة نـ

١ - عندما ننظر الى مطلع القصيدة الغزلى نلاحظ الآتى :-

( ١ ) ان الشاعر ينظر بعين لاقطة الى قصيدة جميل بثينة نـ

ألا ليت أيام الصفاء جديدا

ودهر تولى يا بشمين يعسود

فهو يأخذ من ألقاظها ومعانيها ويسير على هداها ، فشلا  
قوليه :-

لقاصرة الطرف التى كم لطرفها

أسير ومثلنى فنى الخرام شهيد

مأخوذ الى حد كبير من قول جميل :-

لكل حديث بينهم بشاشة

وكل قتيل بينهم شهيد

وإذا كان غزل ابن سيد الناس فيه سرقة وملاحظه لاسلوب

ومعاني جميل بثينة فهو لا يخلو من الأبيات التى نجد فيها

جدة المعانى وسلامة الذوق مثل قوله :-

ولاهية لم يله عنها متسيم

ونائمة فيها الميمون هجود

وقوليه :-

عجبت لقلبي كيف يحمل جهبا

ضعيف يقاسى الحسب وهو شديد

٢ - وبالببيت الأول من أبيات الفقرة الثانية يتخلص تخلصا حسنا من الفزل الى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم فيمدح حبه بأنه حبيب الله ، وصاحب المكانة القريبه عند الله ، والرتبه العاليه التى لا تساويها رتبة .

٣ - ومنتقل فى أبيات الفقرة الثالثة الى ذكر أمجاد أجداد النبي صلى الله عليه وسلم فيذكر أنهم أهل مجد وشهامة وكرم ممن قديم الزمان فمنهم يرجى الندى ، ومنهم يخشى البأسى ، ومن كرمهم ما يفعلون بحجاج بيت الله من ايواء واطعام حتى فى سنين الحسر والشدة .

\*\*\*

ومع ان القصيدة فى المدح ما عدا مقدمتها الفزلية نجسد الشاعر يلتفت فيها كثيرا الى معانى جميل بثينة وتعابيره فينقلها من بابها وهو الفزل الى بابها فهو وهو المديح .

من ذلك قوله فى أبيات هذه الفقرة يمدح جدود النبي صلى الله عليه وسلم بكرم الأصل :-

يا أصلهم والفضل يزداد دائما

وما كل فضل ثابت وزيد

فقد نقل هذا المعنى من قول جميل فى الفزل :-

اذا قلت ما بى يا بثينة قاتلى

من الحب قالت ثابت وزيد

\*\*\*

وفى أخذ المعنى وتحويله من باب الى باب آخر ، كأن يكون فى الغزل فينقله الى المدح نوع من البراعة والاقتدار والأخذ بالحسن الذى لا يحويه نقاد الأدب حتى أنهم قالوا :-

" من أخذ معنى غاريا فكساه لفظا من عنده كان أحق به " (١)

وأمر المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه يقول :  
" لولا أن الكلام يحاد لنقد " .

والمعاني مشتركة بين العقلاء فربما وقع المعنى الجيد للسوقى والنهطى والزنجى والتفاضل فى الألفاظ ورصفها وتاليفها ونظمها (٢)

٤ - وأبيات الفقرة الرابعة كانت خاتمة التقليدية ، صلاة وسلاما على النبى صلى الله عليه وسلم ، وهى لا تخلو من المحسنات مثل - تجود ، و - مجيد ، وتكر ، و - تعود .

تعليق :-

إذا أردنا أن نقول شيئا فى التعليق على هذه القصيدة فأول ما يظالنا هو التحسر والبكاء على أيام الصبا الذى نجسده فى صدر القصيدة ، فكثيرا ما تحسر الشعراء على أيام الصبا حيث تحلو الحياة ولذ اللقاء وطيب الأنس والسرور ، من أولئك الشعراء جميل بن معمر فى داليته المشهورة ، وشاعرنا السودانى محمد

(١) دلائل الأعجاز لمحمد القاهر الجرجانى ص ٣٤٥

(٢) مذاهب النقد وقضاياها / د / عبدالرحمن عثمان / ط / ١٣٩٥هـ



سعيد المباسى الذى قال فى ذكر أيام شبابه الخضة ثم هصر :-  
هصر وأيام الشباب \* يا الفقى من لى بهما  
وحنينة سامرتهم \* فاقوا الزمان همما  
خير شباب حملوا \* مع السيوف القلما (١)

\*\*\*

وابن سيد الناس لم يمان تجربة حقيقية فى حب الغانيات  
وعشق الفائنات كجميل بن معمر وغيره ، وإنما هو خيال شاعر نادم  
على أيام شبابه التى ذهبت لها ولعباً كما يبدو له ، وطاد اكسر  
جدية ونضجاً عقلياً فأسف على الماضى ووجه نفسه وعواطفه ومواهبه  
نحو الله ونحو مدح رسول الله توجيهها ، حتى أن يعرض ما فأت  
من غلة وضياح وقت .

أما بقية فقرات القصيدة فهى كثيرها من قصائده المدحجية  
رصانة فى الأسلوب ودقة فى التصوير ما اكسب المعانى حيوية  
وتجدداً على السمع .

\*\*\*

---

(١) ملاح من المجتمع السودانى - للاستاذ حسن نجيلة .

٥ - قافية السراء :

تقع هذه القصيدة الرائية لابن سيد الناس في ثلاث وخمسين بيتا منها ثلاثة عشر بيتا في النسيب وهي من عيون ما قاله في المدائح النبوية في ديوانه المخطوط \*

نصوص من القصيدة

١ -    الا خاطر في لجة الحب خاطر  
          وقلب بحب العاصرية عامر  
          وطرف قضى ليل التام مسامرا  
          نجوم الدياجن فهو ساء وساهر  
          يبيت اذا نام الخلي مسهدا  
          يؤرقه للبين دمع سامر  
          وينعم حيننا بالوصل وتارة  
          يُرى وهو بين القطع والوصل حائر  
          يقاسمني شرع الفرام وعلمه  
          كعلمي بما يلقاه شاك وشاكر  
          فإن لا منى في الحب إني لطائع  
          وان قادسي للصبر اني لصابر  
          واما خلص بالمحبين عابث  
          جهول لما لم يدر هاج وهاجر

يلوم وما سرت بوجرة عيسه  
ولا أسوته من ظباها جاذر

---

٢ — وما الحب الا النار في البعد أنصريت  
وفي القرب جنات النعيم سواقر  
ولا شيء أخلا منه في حالة الرضى  
وقد صد عن صد حبيب مهاجر  
سوى مدح خير المرسلين محمد  
نبي زكت أعرافه والعناصر

---

٣ — نبي علا في كل فضل أخا علا  
وتفضيله في الذكر يتلوه ذاكرا  
هو الرحمة المهداة للخلق كلهم  
لقد نال منه البرّير وفاجر  
من الأمن في الدنيا وفضل حسابهم  
إذا ضمهم يوم القيامة حاشر

---

٤ — مناقب شتى أردفتها مناقب  
تبيد الليالي وهي منهم عوامر  
لاخرها في كل حين أوائل  
فليس لها طول الزمان أو آخر

عليه صلاة الله مالهج بارق  
بروض وما فاحت سحيرا أزهرا

---

### وقفه مع القصيدة :

- ١ - بنظرة سريعة لأبيات الغزل في الفقرة الأولى نلاحظ الآتي :  
الكلمات العربية القديمة التي تعد أولها الشعراء المتقدمون  
وصاغوها في أدبهم ، مثل - الحامرية ، وليل التمام ،  
ونجوم الدياجي ، ونام الخلى ، ويورقه للبين ، وجرة ،  
و - عيص ، و - ظبا ، و - جآدر ، و كل هذه  
الكلمات تشير إلى معاني تحدث عنها شعراء العرب  
الأوائل وصاغوها في شعرهم واستوعبها شاعرنا ابن سيبد  
الناس فأعادها البناء مرة ثانية في غزل عف رقيق ليس  
مقصودا لذاته وإنما هو مقدمة للمدح .
- ٢ - وفي أبيات الفقرة الثانية قام بموازنة بين حلاوة القرب وصراة البعد ،  
وأراد أن يتخلص بذلك تخلصا حسنا من الغزل إلى المدح وقد  
فعل ، ودخل في المدح بدون عناء أو تكلف .
- ٣ - وفي أبيات الفقرة الثالثة كرر المعاني القديمة التي لا تكاد تخلو  
منها قصيدة من قصائده .
- ٤ - وقد ختم القصيدة بأبيات جزلة الأسلوب فخمة المعاني وكأنه يسه  
استحضار معنى قول حسان بن ثابت رضي الله عنه في مدح النبي  
صلى الله عليه وسلم :

له همم لا منتهى لكبارها  
وهمته الدنيا أجل من الدهر

### تحليل :

تمتاز هذه القصيدة بوضوح المعاني وقوة السبك ، وفيها إشارات لبعض احتمالات القدماء ، وهي على طولها فالرقة والجزالة تضطرد فـسـ أسلوبها رغم المحسنات البديعية الكثيرة التي لم تؤثر على الأسلوب والمعاني \*  
من تلك المحسنات - " خاطر ، و - خاطر ، و - العامرية و - عامر - في البيت الأول " فان في هذه الكلمات جناس لتوافق اللفاظ واختلاف المعاني \*

وفي كلمة - " القطع ، و الوصل " في البيت الرابع مقابلة وفـسـ كلمة - " الصبر ، وصابر " في البيت السادس جناس وكذلك كلمة " الورد ، وتوريد " في البيت التاسع بها جناس ناتج لا تفاق الكلمتين في أغلب الحروف \*  
وفي كلمة - " القرب ، والبعد " في البيت الحادي عشر مقابلة ، وفي جملة - " سرقت منه اللواحظ " استعارة مكية حيث شبه اللواحظ بإنسان يأخذ خفيه ، ثم حذف المشبه به وهو الإنسان ورمز إليه بشئ \* من لوازمه وهو كلمة " سرقت " على سبيل الاستعارة المكية ، ويمكن أن نجري الاستعارة في " سرقت " حيث نشبه التلطف في طلب النوم بالسرقة ثم نستعير " سرق " بمعنى طلب أو أخذ خفية على سبيل الاستعارة التبعية \*

## :: الباب الثالث ::

~~~~~

نشوه وخصائسه

((الفصل الاول))

النشوة في عصره : (٦٧١ - ٧٣٤ هـ)

إذا ألقينا نظرة عابرة على فن النشوة في عصر ابن سيد الناس نجد له طابعا خاصا يميزه في هذه المدة عن غيرها ، وهو في هذا العصر متعدد ال
النوعية ، فمنه الرسائل الديوانية ، والرسائل الاخوانية ، والرسائل التعليمية ،
والتقريظات والتحليقات التي تكتب في مقدمة كتب ودواوين الاصدقاء بغير
الاعلاء من شأنها .

ومن مميزات النشوة البارزة في هذا العصر ما ظهر في أسلوب الكتاب
والادباء من ميل شديد الى استئصال المحسنات البديعية واعتبار الظفر بوحدة
منها شيئا يتباهى به الاديب ويزهو به على غيره من الادباء .

ومن ناحية المعاني كان الميل قويا الى المبالغات والاكتثار من عبارات
التفخيم والتعظيم في جانب المخاطب وخصوصا اذا كان أميراً أو كبيراً .
ويقابل ذلك في جانب المرسل المبالاة في عبارات التواضع المشين
مثل " المملوك " وغيرها .

وبرغم هذا يرى بعض النقاد والكتاب أن النشوة في هذا العصر قد
قام بواجبه وجبر عن مظاهر الحياة المختلفة تعبيراً ينفي عن كتابه تهمة العجز والتخلف .

والرسائل الديوانية متعددة للموضوعات والمناسبات منها ما يتبادله
الملوك والسلاطين فيما بينهم في الامور المهمة والاحداث للكبيرة في الحرب
أو السلام .

وقد حفظت لنا كتب التاريخ في عهد المماليك - عصر ابن سيده
الناس - جملة من هذه الرسائل .

تختار منها هذه الرسالة وهي من تحبير الكاتب محي الدين بن
عبد الظاهر على لسان السلطان قلاوون الى السلطان أحمد غازان سلطان
التتار ، ردا على رسالة منه في طلب الهدنة بعد اعتناقه الاسلام .

قال ابن عبد الظاهر " على لسان قلاوون " :
" بسم الله الرحمن الرحيم بقوة الله تعالى يتقبال دولة السلطان
الملك المنصور قلاوون الى السلطان أحمد .

أما بعد . حمدا لله الذي اوضح بنا ولنا للحق منهجا ، وجاء بنا
فجاء نصر الله والفتح ، ودخل الناس في دين الله أفواجا ، والصلاة والسلام
على سيدنا ونبينا محمد الذي فضله الله على كل نبي ، نجى به أمته ، وعلم
كل نبي ناجي ، صلاة تير مادجا ، وتير من داجي .

وصل الكتاب الكريم ، المطلق بالتكريم ، المشتغل على النبى
المعظم ، من دخوله في الدين وخروجه عن خالف من المشيرة والاقربين ، ولما
فتح هذا الكتاب فاتح بهذا الخبر للمعلم المعلم ، والحديث الذي صحح عن
أهل الاسلام اسلامه ، واضح الحديث ما روى عن مسلم ، وتوجهت الوجوه الى
الله سبحانه في أن يثبت على ذلك بالقول الثابت ، وأن ينبت حب حبيب
هذا الدين في قلبه ، كما أنبت احسن النبت من اخشن المنابت ، وحصل

التأمل للفصل المبتدأ بذكره من حديث اخلاصه النية في أول العصر وعنفوان الصبا الى الاقرار بالوحدانية ودخوله في الملة المحمدية ، بالقول والعمل والنية ، فالحمد لله على أن شج صدره للاسلام ، وألهمه شريف هذا الالهام ، كحمدنا لله على أن جعلنا من السابقين الاولين الى هذا المقال والمقام ، وثبت أقدامنا في كل موقف اجتهد ، وجهاد تنزلزل دونه الاقدام " (١) .

عندما ندقق النظر في هذا الجزء من مقدمة رسالة ابن عبد الظاهر نبتين بوضوح اسلوب الرسائل في هذا العصر وخصائصها وطابعها العام ، فلاحظ في الديباجة أنها تبدأ بالبسملة ثم ذكر اسم المرسل والمرسل اليه مع القاب - التعظيم ، ثم حمد الله والصلاة على نبيه ، وعرض بعض المنن التي من الله بها على عبادة ، والتمنيح لموضوع الرسالة من خلال ذلك ، ونحو بالابتهاج والحذر مما من خلال عبارات الرسالة لاسلام غازان والخوف من أن يكون اسلامه خديعة أو دسيسة .

ونلاحظ التلاعب بالالفاظ على طريقة كتاب العصر ، فنجد الجناس والطباق ، والتورية والسجع والاقتباس ، في مثل قوله :

"وَأَنْ يَنْبِتَ حَبَّ حَبِّ هَذَا الدِّينِ فِي قَلْبِهِ" وقوله :
"وَصَلَ الْكِتَابُ الْكَرِيمَ ، الْمَتْلَقُ بِالتَّكْرِيمِ ، الْمُشْتَمِلُ عَلَى النَّبِيِّ الْعَظِيمِ" .

وهذه الملاحظات تدل على غرام كتاب هذا العصر بالمحسنات والجرى وراء زخرف اللفظ والمعنى .

والرسائل الاخوانية لها نفس هذه السمات ، فهي تعتمد الى السجع ،
والاقتباس ، والتورية ، والجناس ، وقد تتضمن بعض الامثال القديمة والابيات -
الشعرية ، هذا من ناحية الشكل أما المضمون فهو متنوع ومتعدد ، فتارة تعبر
الرسالة الاخوانية عن ود قديم وحنين الى الايام السالفة ، وتارة تعبر عن شكوى
والم ما هو فيه من ضيق وبؤس ، وأخرى تعبر عن فرحة وتهنئة بمنصب أو مكسب
سر الصديق وأحزن العدو ، الى غير ذلك من الاغراض والمضامين المتعددة .

وقد تجمع الرسالة الاخوانية الواحدة بين عديد من هذه المضامين .

واذا كانت هناك سمة مميزة للرسائل الاخوانية ، فهي التعبير عن
العواطف الشخصية والاحاسيس الفردية ، مع المبالغة في النعوت والوصاف
والالقاب ، تعظيما وتقليلا الى درجة ينكرها الذوق وينفر عنها الطبع .

وبالامثال يتضح صحة ما قلنا ، فلنمثل لذلك برسالة لشرف الدين بن
بن حجاج العالية كتبها الى الوزير الكاتب فخر الدين بن مكانس يطلب شاشا ،
قال :

” يقبل الارض التي شاق ترابها المواطي ، الفخرية ، فزاد اعجابا ،
وقال المسك ياليتني كنت ترابا ، وينهى أنه أقبل على المطالعة ، والباقي
من المشر الى ليال همس ، واستهدى بنجوم فوائدها حين قامت الشمعة
بوظيفة الشمس ، واستدعى اعوانا من السهر ، فتخاذلت عنه أعوانه ، وخشى من
غلبة النوم فتغلب عليه سلطانه ، ولما أغفى على وجه الكتاب لعبت الشمعة
بلسانها وتناولت طرف شاشة بين نيرانها ، فهب الملوك وأخذ منها ما تصاعد
من الانفاس ، وقابلها على حرق الشاس يقطع الرأس .

اني جلست بشمعة موقودة

لاطالع الاسفار للتسييح

فتأولت شامى أرائل نارها
وتمكنت منه بصر المسيح
من قبل حرق الشاس كت مطالما
فى الكتب صرت مطالما فى الروح

وقد توصلت بهذه الرسالة المدونة فى باب المنظوم والمنثور ، وسددت
يد سؤلى الى طلبى شامى مقصورا ، وأرجو أن يجمع لى بين المدود والمقصور .
أبقاك الله للاولياء الذين يحبون وجودك ويستمتطرون كرمك وجودك * (1)
ومع أن موضوع الرسالة طلب شامى لمحاته التى التهمت بها السنة الشمعة الممتدة
حين غلبه النوم الا أنه انتهز هذه الفرصة واسترسل فى الوصف والسجدة
والاستطراد وضمن رسالته ابياتا من الشعر كل هذا جريا على طريقة الرسائل
الاخوانية التى ترن بهذا الميزان وتكيل بهذا المكيال *

لذا كانت هذه الرسالة تعبيرا عن عواطف شخصيته ، وحاجات نفسية ،
وهذه احدى سمات الرسائل الاخوانية ، ومن سمات الرسائل الاخوانية فيها
أيضا عبارات التواضع المبالغ فيها ، مثل - فهب المملوك - يعنى نفسه ،
ومنها عبارات التفضيم والتعظيم المبالغ فيه كسابقة مثل :

أبقاك الله للاولياء الذين يحبون وجودك ، ويستمتطرون كرمك
وجودك * - يعنى بذلك مددوحه - .

وكل هذه السمات والذواهر فى الرسائل الاخوانية نجدها بوضوح فى
الرسائل المتبادلة بين صلاح الدين الصفدى وأبى الفتح يمين سيد الناس ،
وسنتعرض لذلك بالتفصيل بعد قليل .

ولاكتمال الصورة ثانياً بمثال للرسائل الوصفية فمثل لها بما كتبه
ابن دقيق العيد في متاعب العلم والتحصيل والتأليف ، قال ابن دقيق
العيد :

" فإن المرء يتعب أفكاره ، ويكد ليله ونهاره ، ويقودح
زناد القريحة حتى يرى قرحة ، ويرقب فجر الحقائق حتى يتبلج صبحه ،
ويروض مصاعب النظر حتى يسهل جامحها ، ويستدنى شوارد الفكر حتى يقرب
نازحها ، فإذا تجلى له من ذلك نادرة ابدائها ، وتأمل أن يودع بالفكر
خاتمتها ويتلقى بالشكر مبدائها ، قام الحاسد فقيح تلك الصورة الحسنة
وشانها ، وحقر تلك الحملة الجميلة وشأنها ، وقال بلسان الحال والمقال :
لقد دلاك أيها المصنف الضور واستهواك الضور ، وغاب الغنا وحضر الانا ،
وطاش السهم ، وطاح الفهم ، فالروض هشيم والمرتع وخيم " (١) .

هذا الجزء من الرسالة الوصفية هذه لابن دقيق العيد يدل على
أسلوب الرسائل الوصفية والنهج السائرة عليه والسمات التي تتمتع بها .

ومع أن ابن دقيق العيد ليس من كتاب الانشاء في ذلك العصر
الا أنه أديب ، شاعر ، عالم فقيه ، وهو في هذه القطعة الوصفية يجنح الى
طريقة كتاب العصر ، فيعمد الى استخدام البديع لكنه لا يسرف فيه ، وأسلوبه
يتمتع بالرصانة التي يفقدها كثير من كتاب الانشاء في عصره ، ونجد من سمات
العصر في هذه القطعة النثرية - الجناس ، والمقابلات اللفظية ، والكلمات
المسجوعة ، ولا نجد في ذلك تكلف ولا صنعة كما نجده عند كتاب العصر
المحترفين للكتابة والانشاء في دواوين الملوك والسلاطين ، وقد تأثر ابو الفتح

ابن سيد الناس بهذه الطريقة في رسائله النثرية ، لأن ابن دقيق العيد
هو استاذ الذي احتضاه واقتفى اثره في كثير من الاتجاهات العلمية والادبية ،
وسنرى ذلك واضحا في نشر ابن سيد الناس .

ولننشر في هذا العصر الذي نتحدث عنه موضوعات غير هذه الموضوعات
التي ذكرناها - فقد كانت هناك الخطب والمواعظ الدينية وغيرها مما لا يسع
المجال هنا لذكره والتثيل له .

بقى أن نقول :

في هذا العصر عاش ابن سيد الناس ونهل من مناهل الشعر والنثر
وتأثر بأدباء وقته نظما ، ونثرا ، شكلا ومضمونا ، وأدلى بدلوه فقال الشعر
الرائق ، والنثر الفائق .

وبهذه التوطئة ندخل على دراسة نشره وخصائصه - المطبوع منه
والمخطوط .

:: الفصل الثاني ::

نشره وخصائصه

١ - نشره المطبوع :

في أثناء دراستي لحياة العالم الجليل ابن سيد الناس وجدت له بعض المقطوعات النثرية مفرقة في ثنايا تراجم بعض الشخصيات التي عاينتها وتأثر بها وحدث عنها .

من هذه المقطوعات النثرية المقطوعة التي استشهد بها صاحب طبقات الشافعية الكبرى - السبكي - عند الحديث عن ابن دقيق العيد وأدبه ، قال :

" قال أبو الفتح بن سيد الناس اليمصري الحافظ : لم أر مثله فيمن رأيت ، ولا حملت عن أجل منه فيما رأيت ورويت ، وكان للعلوم جامعاً ، وفي فنونها بارعاً ، مقدماً في معرفة علل الحديث على إقرانه ، متفرداً بهذا الفن النفيس في زمانه ، بهيماً بذلك ، شديد النظر في تلك المسالك ، لا يشق له غبار ولا يجري معه سواه في مضماره .

إذا قال لم يترك مقالاً لقائل

مصيب ولم يثن اللسان على هجر

وكان حسن الاستبصار للاحكام والمعاني من السنة والكتاب ، بلب يسحب الالباب ، وفكر يستفتح له على غيره من الابواب ، مستعينا على ذلك بما رواه من العلوم ، مستبيناً ما هنالك بما حواه من مدارك المفهوم ، مبرزاً فمى العلوم العقلية والعقلية ، والمسالك الاثرية والمدارك النظرية .

وكان من المعلوم بحيث يقتضى
له من كل فن بالجميع

وسمح بمصر والشام والحجاز ، على تحرف في ذلك واحتراز ، ولم يزل
حافظا للسانه ، مقبلا على شأنه ، وقف نفسه على العلوم وقصرها ، ولو شاء
العاد أن يحصر كلماتها لحصرها ، ومع ذلك فله بالتجريد تخلق هوكرامات
الصالحين تحقق ، وله مع ذلك في الادب باع وساع ، وكرم طباع ، ولم يخل
في بعضها من حسن انطباع ، حتى لقد كان الشهاب محمود الكاتب ، في تلك
المذاهب يقول :

لم تر عيني آدب منه • انتهى (١)

الناظر في هذه القطعة النثرية يرى أنها من نثر العلماء ، وموضوعها
اثبات علم ابن دقيق العيد وأدبه على لسان تلميذه ابن سيد الناس ، يجد
فيها صورة أدبية للنثر وخصائصه في ذلك العصر ، ومن أبرز هذه الخصائص
والسمات :

١ — السجع ، والمزاوجة اللفظية في الفقرات والكلمات في مثل قوله :
" لا يشق له غبار ، ولا يجري معه سواء في مضار ، وكان للمعلوم
جامعا ، وفي فنونها بارعا " ولم يزل حافظا للسانه مقبلا على شأنه ،
..... "

٢ — ترادف الصبغات والمبالغة في الوصف في مثل قوله :
" لم أر مثله فيمن رأيت ، ولا حملت عن أجل منه فيما رأيت ورويت "

وفي قوله :

(١) طبقات الشافعية الكبرى ج ٩ ص ٢٠٨ — ٢٠٩ الطبعة الأولى •

* بلب يسحر الالباب ، وفكر يستفتح له على غيره من الابواب *

٣ — ومن سمات العصر ايضا الاتيان بأبيات من الشعر في أثناء النشر
لتقوية الفكرة وإثباتها في نفوس السامعين *

٤ — ومن الخصائص والسمات في القطعة تظارب المبارات في الحروف
ما يجعل التجانس والمقابلة واضحا بينها في مثل قوله :

* ومع ذلك فله بالتجريد تخلق ، وبكرامات الصالحين تحقق * *

وعموما نرى روح العصر في الشكل والمضمون متشابها في هذه القطعة
الوصفية النثرية *

ونجد قطعة نثرية أخرى لابن سيد الناس أوردها صاحب " الذيل
على طبقات الخبالة " في ترجمة ابن تيمية الحراني قال :

قال الذهبي : ذكره ابو الفتح اليمصري الحافظ فقال : " الفقيه
من أدرك من العلوم حظا ، وكان يستوعب السنن والآثار حفظا ، ان تكلم
في التفسير فهو حامل رايته ، وان افتى في الفقه فهو مدرك غايته ، أو ذاكرة
في الحديث فهو صاحب علمه وذو روايته ، أو حاضر بالليل والنحل لم يسر
أوضح من نخلته ، ولا أرفع من درايته ، يبرز في كل فن على أبناء جنسه ،
ولم ترعين من رآه مثله ، ولا رأت عينه مثل نفسه " . (١)

وهذه القطعة النثرية كسابقتها نجد فيها ملامح نشر العصر الوصفي

(١) الذيل على طبقات الخبالة لابن رجب . ج ١ مطبعة السنة
المحمدية ١٣٧٣ هـ ١٩٥٣ م .

في الاسلوب والمعاني من هذه الملاح الالفاظ المسجوعة مثل :

الفتية بمن أدرك من المعلوم حظا ، وكان يستوعب السنن والآثار
حفظا •

والبالغة في الاوصاف والنموت مثل قوله :

" ان تكلم في الحديث فهو حامل رايته هو ان أفنى في الفقه فهو
مدرك غايته " •

وقوله :

" لم ترعين من رآه مثله ، ولا رأت عينه مثل نفسه " •

واذا كانت هذه المقطوعات النثرية لا بن سيد الناس جـسرت
على طريقة العصر من حيث اللفظ والمعنى ، فهي لا تخلو من المميزات —
الخاصة بها •

ومن هذه المميزات :

- ١ — السهولة وعدم التكلف في ربط الجمل بعضها ببعض مع جمال الوصف •
- ٢ — رقة الابيات الشعرية وجودتها وحسن وقصها في النفس ووقعها في موقعها •
- ٣ — السجع والالفاظ المتطابقة جاء نابعا من طبيعة متفوقه موهوبة مسال جعل النفس تقبله ، والسمع لا ينبوغه •

ب - نشرة المخطوط :

طلالنا فى نشر ابن سيد الناس المخطوط الرسائل الاخوانية المطولة
التي تبادلها مع صديقه الصفدى (١) فى مخطوطة الحان السواجع (٢) المصورة
بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية .

وتسجيلا لهذا الجانب وحتى يمكنى القاء الضوء على هذه الرسائل
التي تحتوى على نشر مسجوع يتخلله نظم ، تمت بتصوير هذه الرسائل المتبادلة
بين الصفدى وابن سيد الناس مما لا ارتباط بعضها ببعض ، فهى امسا
بداية مخاطبة وبث شكوى ، او رد على ذلك .

ولطول هذه الرسائل سوف اختصر ولا اورد الرسالة بكاملها ، بسأل
أجى ، باجزاء منها وأجزاء من الرد عليها ، وابين ما فى هذه الرسائل الاخوانية
من خصائص ومميزات العصر .

* * *

(١) هو خليل بن أيبك ، ولد بصفد سنة ٦٦٢ هـ وتعماني أول حياته صناعة
الرسم فبيع فيها ثم حبيب اليه الادب فولج به ، واتيحت له الرحلة
مرات بين الشام ومصر وظل بمصر حتى سنة ٧٣٢ هـ وتقلد مناصب
عدة كان آخرها وكالة بيت المال بدمشق ، وظل بها حتى وفاته .
شرح اللامية ٢/٢٦٨ - .

(٢) الحان السواجع بين البادى والمراجع ، كتاب للصفدى مخطوط
ومصور ، بمعهد المخطوطات تحت رقم ٥٤ أد ب .

وكت هو الحرف مرحدى اخذاه

يا جماعة الخلق والجود والمنزل وشع الوجود والكن
فقد تأسر في الجسد فاصنع بالبدن واستر على وجهه

وَكُنْتُ أَنَا الْحَوَالِي

حاشا لله ان يزي منك حبيباً ومماليك قد حوت كل حزين
وعزم الاقوام فهو شجاع والخيال الذي تزدى عابدين

محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن يحيى الشافعي الإمام الحافظ
الرحلة المحدث الأديب الكامل الناظم الناشر فتح الديار
الفتح أو الشفاء المرفي أبو عمرو أبو الإمام العلامة
أفصح ابن سيد الناس البصري كتب أنا إليه من دمشق المحمدية

كان سمعي بالشيوخ فتح الدين سعي الادب وهو شهيد
 بالها عزه ما هو مستحق اعزته الفواكه الفقيه

يقول الابرار ونهى يده وصفت شوقه . وقلعة الذي شام منه
عمر طاقته وشعب عمره عن طوقه . ودعوة التي حاطوا بها من تحت
ناظره ومن فوقه . وفكن التي يلبس ذنبه قدس ما كان اكسبه
مصر من حلاله وذوقه . وحالتي التي شاهد ان كسبه في الورد كالحب .
وبذكر محبت التي شهد بها البرق ودمع الحمامة . وولاية الذي تبع
يدي العصفور الحمامة . وشاء الذي كسر الانسيم . وشوال الذي كسب
انه فارغ مصر ولا نافع من البحر . وفقد الذي انقضت وجن

١ - الرسالة الاولى

قال الصفدى :

" كتبت أنا اليه من دمشق المحروسة سنة ٧٣٩ هـ كان سمى
بالشيخ فتح الدين يحيى الآداب وهى شهية • مالها عهد بأرض دمشق
أعزنى الفواكه الفتحية •

يقبل الأرض وينهى بعد وصف شوقه • وقلقه الذى شاب منه عسر
طاقته وشب عجزه • عن طوقه • ودموعه التى جاء طوفانها من تحت ناظره ومن
فوقه • وفكره التى بلدت ذهنه فعدم ما كان اكتبه بمصر من حلاوة ذوقه •

وحالتى انت بها شاهد ان كنت فى الود كما ينبغى • ويذكر محبته
التي شهد بها البحرى ودموع الغمامة •

ولاه الذى تسجع به فى الفصون الحمامة • وشاء الذى كالنسيم
ذيله ونشق الزهر كامه • وانه فارق مصر ومولانا فعدم البحرين وفارق
ذلك النضا وحنوه •

بسم الله أياما تقضت بقربكم

وحيا محلا كتب فيه جبرئيل

ولا شكر الرحمن أيام بيننا

فليس سوا* والى قيل ولت*"

قال الصفدى :

فكتب هو (يعنى ابن سيد الناس) الجواب عن ذلك :

أليك صلاح الدين أشكو صبايتي
وارفع فيما رايتي منك قصتي
أقول بأن القلب مثواك دائما
وأشكو اليك الشوق في كل لحظة
وأشكر أياما تقضت بغيركم
وجل لها شكرى وان هى جلست

يقبل كذا وينهى ورود المسرف فأكرم به واردا • واعهد به على وافدا •
يجلو على الأبصار ما شاء من زين • ويجلى عن البصائر ما شاء من زين • حائزا
من نظمه ونثره ربح الصناعتين فائزا من سحر بيانه ودر بنانه بامد الشرفين •
والسبق في الطرفين • والاستيلاء على الامدين • والاستعلاء على الصدفين •
فقد الملوك ليد راحته • واستند منه راحته • بعد ما وجد من فراق من به
وجد • وقد اشتم بقلبه من نار الخليل لفقد الخليل ما وقد • فراح كليم امتياق
في الهم احتراق • ينادى بلسان الاشواق :
لقد لسعت حية النوى كيدي

ولا طبيب لها ولا راقى
فوافته وقد شطت به الدار • وتناهى عنه المزار تحية باها بها الصبا • وباهت
بحسنها شمع الضحى • وعرفها زهر الربا • فقال يا بشر ابي بعد ها الوفى •
وجمالها الموسيقى • أصدرت عن بشر أم ملك • أم عن ملك البلاغة الذى ملك •
من دبر القول ما ملك • وترك لغيره من مخطبه ما ترك • أما فقد حرسه الله
بدمشق الفواكه الفتحية • فقد وقف الملوك على ما تضمنته تلك التحية •
وهزت منه علفا لتلك الريحية • وانما يجتنى كما قال المقر الشهابى حرسه
الله من غرس بدا صلاحه وروض فلاحه • وتفتح زهره فراق اختامه بالمسك
وافتاحه •

الملك يلتزم التشريف بخدمته ومراسمه ومهامه ، والله يحرسه فسي
حركاته وسكناته ، ان شاء الله تعالى .

خصائص ومميزات الرسائل الاخوانية :

بمقارنة بسيطة بين الرسائل الاخوانية وغيرها من الرسائل الديوانية
والوصفية تبرز لنا نقاط خلاف ونقاط التقاء في الشكل والمضمون تميز كل نوع عن
الآخر وتختص به ، ومن مميزات الرسائل الاخوانية الواضحة :

١ - الموضوع :

فغالبا يكون موضوع الرسالة الاخوانية عتابا ، أو شكوى ، أو شوقا
وحينا الى المانع ، أو تبادل رأي ، أو مفاكهة ، أو تهنئة ، أو تعزية
وما الى ذلك .

٢ - الاسلوب :

تتم الرسائل الاخوانية بالاسراف في عبارات المجاملة ، والمبالغة
في نعوت التعظيم للمرسل اليه ، ويقابل هذا في الجانب الآخر
الاغراق في الفاظ وأوصاف التواضع التي يقتضها الراسل وضيغها
الى نفسه .

٣ - ومن المظاهر التي تلتقي فيها كل أنواع الرسائل في عصر ابن سيده
الناس استخدام المحسنات اللفظية والمعنوية .

وهذا يظهر فيما نجد في نشر المصربوجه عام من جناس ، وتورية ،
واقتباس ، وتضمن ، ومقابلات ، وتشبيهات ، واستعارات ، وغيرها ، وتختلف

هذه الاشياء حسنا وقبحا من موضوع لآخر ، ومن كاتب لكاتب •

وبوتقة مع هاتين الرسالتين نلاحظ :

١ - الاسلوب :

تبرز فيه من سمات العصر - السجع ، والجناس ، والتورية ، والمبالغة
تمظيما وتقليلا ، وتشتمل الرسالتان على أبيات الشعر الرقيقة التي
تناسب المقام •

من ذلك قول ابن سيد الناس في رسالته :

إليك صلاح الدين أشكو صباي

وأرفع فيما رايت منك قصتي

أقول بأن القلب مثواك دائما

وأشكو إليك الشوق في كل لحظة

ومن أمثلة السجع في الرسالة أقوله :

فاكرم به واردا ، واعهد به على واقدا ، وكثير مثل هذه العبارات -

المسجوعة في الرسالتين •

ومن أمثلة الجناس في رسالة ابن سيد الناس :

” زين - رين - لين ، وليد راحته ، واستمد منه راحته ، و -

مسما وجد من به وجد •

والمبالغة في التعميم والتواضع نجد ها في عباراته :

وقد اضرم بقلبه من نار الخليل لفقد الخليل ما وقد ، فراح كليـم

اشتياق ، في السهم احتراق ، ينادى بلسان الاشواق •

ونجد عبارة التواضع التي لم تخل منها رسالة من رسالاته وهي :
" والمملوك يلتزم التشريف بخدمته ، ومواسمه ومهماته . "

وإذا كان لنا تعليق على هذه الأشياء فأننا نقول قد يمل القارىء
هذه التعبيرات ، ويحقق بهذه العبارات ، ومواسمها الآن ، لكن
حسبه أن يدرك أن هذا اللون من التعبير كان يعجب أهله ففى
عصرهم ، لأنهم لم يكونوا فى عجلة من أمرهم كما هى الحال الآن ،
وكانوا يتذوقونه وتسرى النشوة لسماعه فى أوصالهم عند استرجاعه
أو انشائه ، ولا ننكر أنه تراثا وميراثا ولا جديد بلا قديم .

٢ - الرسالة الثانية

قال الصفي :

• وكتبت أنا الجواب اليه :

أهلاً بها من تحية صدرت

عن راحة بالفنائل اشتهرت

يا حسن ما صدرت أنا ملها

ولطف ما نظمت وما نشرت ...

يقبل الأرض التي مجالس العلم بها مشهودة ، وبركاتها مشهورة ،

وكتب السنة الشريفة منصومة وكتائبها منصورة ، ونفائس الآداب بها مسرورة

ونفوس أهلها مسرورة .

فهي أرض تطلو الأفق فخرا

اذ عليها صحاك دون البقاع

والقدم التي خطت يكاد يسمى اليها المنبر - ويوطئها قدرها العلى خلد

من فسد ومن بر • ويمسح اخمصها اذا سحت في المحالى عن بر غنبر •

قدم تستقل نعل الثريا

مذ ترقبت في ساعيات المساعي

واليد التي لو ارادت لنالت الكواكب • وأخجلت بجودها الفيوث الهوامع •

والسحب السواكب • وحملت رايات فخارها التي تزدحم تحت ظلمها في السيادة

مناكب الكواكب •

راحة تشرف الثقا اذا ما

قبلتها للفصل بالاجماع

تقبيل محب ظفربوصال حبيبته فهو يقبل القبله بالقبله ويشفع النبله بالبلسه •
ويشمر على وفائه الذى يراه على طول المدى خير صاحب • ويحافظ على وفائه
الذى به يعرف العشاق عند الجائب • ويصف أشواقه التى لا يعلم • قرارها
الا الذى أوجعها وقررها • ولا يدري قدرها الا الذى حكم بها وقدرها •
ولا يعرف المما الا القلب الذى لمها • ولا يجبر ضميمها الا الفؤاد الذى ضمها
فهى الاشواق التى استعارت الجحيم استعارها • ونفت عن الجفون
قرتها وعن الجوارح قرارها • واعدت النفس فى الصباح صلاحها وفى المساء
مسارها فاما على الديار المصرية وأوقاتها • وسقيا لمحايد أنسها لنفسها ولذاتها
ليذاتها • ورعا لتلك المنازل التى لاتخرج الاقمار عن هالاتها • وحفظا لتلك
الوجوه التى للشمس أضواء على جنباتها • وشكرا لتلك النفوس التى المجد يعليها
على علاتها •

ذكر الانام لنا فكان قصيدة

كنت البديع الفرد من أبياتها

والرسالة طيلة اكتفينا منها بهذا القدر • لنورد قدرا مناسبا من رسالة الرد

عليها لابن سيد الناس •

قال الصفدى :

” فكتب هو (يعنى ابن سيد الناس) الرد عن ذلك :

حيث فأحييت فعندما حسرت

خمارها كل مهجة سحرت

يا خجلت الشمس عندما سحرت

وغصه الفصن كلما خطرت

يقبل اليد الخالية الصلاحية لازالت صالحة الشيم سافحة الديم • بل الباسطة

الكريمة لا برحت واسطة عقد الكريم • بل الارض المنبسطة بحلوله لا فتيت

مواطن النعم * ومواطني أولى الهمم *

تقبيل ملآن الحضان

يسوده دون الأُمم

متندم لفراقه لو كا

ن ينفضه الندم

يشتاق من بلقائه

ولو أنه طيف الم

لو كان يطرقه الـ

كبرى لكه لما يـنم

لهفى على عـربه

ولو حيدا لم يـذم

شوقى له شوق الحـ

ل لما شفاه من السقم

شكرى له شكر الريـا

ض السحب جادت بالديم

ذكـرى الايام بهـ

مرت كما مر الحـلم

وينهى ورود المشقة العالية قدرا * الحائزه من الروائع دراهـ

المونقة فى رياض الفصاحة زهراً * المطلعة فى سماء البلاغة زهراً * وكلف بها

كلف عمرو بعمارة * والفزندق بنوارة * واقسم من طرفها بحمرة الشفق *

ومن بنفسها بالليل وما وسقاه ومن غير معانيها السامية على غير معانيها

بالقمر اذا اتسق * لم تلتفت على اهل البلاغة فظلت اغناقتهم لها خاضعين *

وحلت على أرباب اليراعة وألباء البراعة فقالتا أتينا طائعين *

وأين حميمه من سميها * أم أين سهيلة من ثراها * لشد ما ارتفعت
منها المطالع * وانقطعت دونها المطامع * فما الظن بوحيد يحتاج الى الذمام *
ويربط في الرغام * لا عهد له بالتغيير في البرايا * ولا أمن له بالدخول في
القتام * أن يجول في حلبة الرهان * أو يطول الى مقاتل الفرسان * أو يسابق
سكيتيه مجلى المبدان * أو يناطق بباطل من سحب ذيلا على سحبان *
وهل تستفاد تلك المواد من غير ذلك المواد * ولن يكثر البحار الزواجر من
ورده الثماد * ولن يطاول الانجم الزواجر من قراره الوهاد * فما يفوه السليم
الصدق الا بالتسليم لذلك السبق * والتعظيم لذلك الحق * اعترافا بما حواه
رافع ذلك المنار * وجامع تلك المبار * وأما أمره بالسارعة الى المراجعة *
والمعاجة الى المساجلة * وما غادر لغيره من مترد * ولا شن على الآداب
غارة ربيعة بن مكدم * فلم يرجع المملوك الى جواب ينجده * وخطاب يسعفه
بالمراد ويسعده * الا التمثيل بقول القائل :

وأخذت أطراف الكلام فلم تسدع

قولا يقال ولا بديعا يدعى

وأما تمثيله ببيت أبي العلاء مع ما هو فيه من علو المكان * وإثباته
بزعمه الحصى على المرجان * فما يكثر بالادب * ويعيون تصل اليه من حديد
الا المكاثريناى انسان * بل لعله حرسه الله تعالى عن له المرور ببلاد ابن
غير * بلاد بها الحصيد * أو شا عنانه الى منزل ابن اللبانة :

نزلنا فكافور وتبر وجوه

يقال لها الحصيد والربل والسترب

نكتفى بهذا القدر من رسالة الرد لنبدى بعض الملاحظات :

١ — من نافذة القول أن نقول ان الرسالتين اشتملتا على قدر كبير من
المباراة المسجوعة ، والمحسنات اللفظية والمعنوية ، والذي يمكن
أن نضيفه أن هذه الاشياء جاءت بلا تكلف ولا معاناة مما جعلها
حلية في عنق المعنى فلم تفسد جماله وتسلسله .

٢ — وافق ابن سيد الناس في رده بين لفظه وموضوع رسالته ، فهو يرد
على صديق حميم ، وأديب مكين ، فوجد من الموافق استخدام
الناظ الرقة ، والعلم ، والادب .

ومراعاة التناسب بين الموضوع واللفظ من سمات فنون القول عامة
في ذلك العصر .

٣ — نرى كثرة الاقتباس في رسالة ابن سيد الناس من القرآن الكريم —
كما نرى التضمين لكلام السابقين والتثني بأشعارهم التي تناسب
مقام القول في رسالته .

والاقتباس من القرآن الكريم نراه في قوله :
واقسم من طرفها بحمرة الشفق عومن نفسها بالليل وما وسقى ، ومن
غير معانيها السامية على غير معانيها بالقمر اذا اتسق *
وتضمين كلام القدماء ، نجد في قوله :
وما غادر لخير من مترد ، فهو تضمين لشطر بيت الشعر القديم :
هل غادر الشعراء من مترد ؟
أما مثله في كلمة المنثور بأشعار القدماء فهو كثير في رسالته ، منه
قوله :

وأخذت أطراف الكلام فلم تدع

قولا يقال ولا بديعا يدعى

٣ - الرسالة الثالثة

في هذه المرة نهتدي برسالة لابن سيد الناس ، وان كانت هسي
ردا على رسالة في سلسلة الرسائل المتبادلة بينهما ، الا أن الصفدي رد
عليها ، مما جعلنا ننظر اليها كأنها رسالة بدء لا رد .

قال الصفدي :

• فكتب هو (يعني ابن سيد الناس) الى :
• وردت المشرقة السامية بحلاها ، الزاهية بحلاها ، المشتعلة
على الابيات الأبيات ، الصادرة عن المجليات المجليات ، التي فاقت
الكنديين وطوت ذكر الطائيين • ماشئت من بدائع ابداع • وروائع ابداع •
تقف الفصاحة عندها • وتقفوا البلاغة جدها • فله ذلك الفضل الوافى •
بل ذلك السحر الحلال الشافى • بل تلك القوى في القوافى • بل تلك
المقاصد التي اتصت المعنى في المنافى • بل تلك المعاني التي حيرت
المعاني • وفعلت في الالباب ما تفعله المثال والمثاني • بل تلك
الاضاع التي جلل الريح وشيها • وامثل القلم أمرها ونبيها • فهو يصرفها
كيف يشاء • تفرغه أنها لا تخالف له مرسوما • لقد آل فصل
الخطاب اليها • والى فضل الخطاب لا وقف الشرف الا بين يديها •
لقد صدرت عن رياض الادب فجنث زهره اليانح • ولقد أخذت بأفلاك
سما الشرف فلها قمرها والنجوم الطوالح •

وأورد ابياتا من المصنوعات :

ومالى الا أنة بعد أنة

ومالى الا زفرة ونحيب

رضينا لعهده غادر القلب رهبة
وعلم دمع العين كيف يصوب
وذكر خليل لم يغيب غير شخصه
وفى كل قلب من هواه نصيب

فيادرها المملوك لبيانها معترفا • وبارجها متعترفا • وبولائها متمسكا •
شوقا اليها لا يبيد • ولو عمر عمر ليبيد • واقفا على آمال اللقا وقوف غيلان
بدارمية • عاكفا على ارجاء الرجا عكوف توبة على حب الاخيلية • واللله
يتولاه في حالتيه ظاعنا ومقيما • ويجعل السعد له حيث حل خدينا
والنجح خديما • بمنه وكرمه •

قال الصندي :

* فكتبت أنا الجواب اليه عن ذلك :

توح حمامات اللوى فأجيب

ويخضر عندي عائد فأغيب

وقد سل فرش السقم طول تعلقى

عليه بجنبى حين تهب جنوب

ولما بكى عيني نواك تعلست

دموع السحاب الفركيف تصوب

يقبل الارض وينهى ورود المثال الذي تصدق به مولانا نفعما • وأهداه
جميله فكم شفى زهرها المنعم من عى • ويحث قلاده فكم أزال درها المنظم
من ظما • وأقام حجة على أن مرسله يكون فى الاحسان والآداب مالكا
ومتصفا • فبليت بسروقه غلة الظما البرج • وعانيت ما شاده من بنيان
البيان فقالت ليلقيمن ادهلى الصبح • وقمت من حقوته الواجبة على ما يحل

فيه الشرح * وتلقته بالنظم الى قلب لا يجبر منه الكسر غير الفتح *

الى ان قال :

" ظو رأى الميكالى نمطه العالى * وتسم شذا غايته الحزير
الغالى * لقال عطلت هذه المحاسن حالى * وكنت من قبلها ما أظن اللالى
الالى * ولو ظفر الخطيرى بتلك الدردحلى بها تصنيفه * وعلم أن أرباب
الجناس لو أنفق احدهم من الكلام ملء الارض ذهباً ما بلغ مد مولانا
ولا نصيفه *

لنفق عند هذا الحد لنبدى بعض الملاحظات ونضع ايدينا على

بعض الخصائص :

١ - تختلف رسالة ابن سيد الناس هذه المرة فى الاسلوب عن رسائله
السابقة ، فقد اكثر فيها من التشبيهات وأسماء الاشارة حتى أننى
عددت - ذلك ، وتلك ، والتي ، فى هذه القطعة النثرية
فوجدتها كررت عشر مرات ، وقد يبرر ظاهرة التكرار هذه أنه كان
مسترسلاً فى الوصف لرسالة سابقة من رسائل صديقه الصفي
واستشعاره لها جعله يكثر من الاشارات اليها *

٢ - ويبدو فى رسالة ابن سيد الناس هذه المرة واضحاً قصر الفقرات
المسجوعة ، وخفتها وتضمنها للمعانى القديمة * مثل :
شوقا اليها لا يبيد ، ولو عمر عمر لبيد
واقفا على آمال اللقا وقوف غيلان بدار ميسرة
عاكفا على آسأل الرجاء عكوف توبة على حب الاخيلية *

٣ - ونجد اللفظ والمعنى يتطابقان مطابقة تامة فى التعبير عن عاطفة

الشوق والمحبة في هذا البيت :

رضينا لمهد غادر القلب رهبة

وعلم دمع العين كيف يصوب

يقابله قول الصفدى :

ولما بكت عيني نواك تعلمت

دموع السحاب الغر كيف تصوب

* * * *

٤ — الرسالة الرابعة

قال الصفدي :

”وكتبت إليه في سنة ٧٣٨ هـ استدعاءً اجازة وهو بعد حمد
الله والصلاة •

المستول من احسان سيدنا الشيخ الامام العالم العلامة الحافظ
رحلة المحدثين • قبله المتأدبين • حافظ السنة حفظاً لا ترى معه أن يعمل
الناس الا سنة • مركز الدار من أهل الرضى • فألى ما قد حوى ثنى الاغنة •
بديع زمانه • ونادرة أوانه • ضابط الانساب على اختلافها • ناقل العلم
الشريف عن سلفه الذي واقف على المراد وشرطه • صاحب ذيل الفخر الذي
لو بلغ السمعاني جعله في الحليه قرطه • وصاحب الفصل الذي اذا أتى
رأيت البحر بأواجه منه تلتطم • والعبارة تستيق في مضمار لهوائه فتزداد
وتزدحم • النوى ان ترسل نقصت عنده الفاظ الفاضل • وعجز عن مفاوضته
ومعارضته فيما زعم • وتخطى بما بيده فرق الفرقدين وتروض النجوم بما حكم •
فهو الذي تظهر أقلامه الى اقتصاص شوارد المعاني • فتكون من أنامله
أولى أجنحة مثني وثلاث • وتبعث فكرته في خدمة السنة النبوية وما يكرهه
الله هذا الانبعاث • وتبرز مخبات المعاني بنظمه ومن السحر اظهر
الخبيا • وتعتقد اللسان عن معارضته وعقد السحر لا تكون بخير السحر في
البرايا • وتستنزل كواكب الفصاحة من سمائها بخير رصد •

وأتمنى بالفاظها العذبة • نورها

للشمس وفحولتها للاسد • وسجل من شرف سيادته بيتاً عموده الصبوح
وطينته المجرة • ويتوكل هضبات الفصاحة ويستجس حشا المحارب وسطاً
بطون الاسرة • فتح الدين أبو الفتح بن سيد الناس •

إجازة كاتب هذه الاحرف جميع ما رواه من أنواع العلوم وما حمله من
تفسير لكتاب الله أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم • وأثر الصحابة
والتابعين رضي الله عنهم أجمعين • ومن بعدهم الى عصرنا هذا بسماع
من شيوخه • أو بقرأة من لفظه أو بسماع قرأة غيره •

واجازة ماله من مقول نظما او نثرا أو تأليفا • وجمعا في سائر العلوم •
فان الرياض لا ينقطع زهرها • والبحار لا ينفد درها • • •

قال الصفي :

” فكتب هو (يعنى ابن سيد الناس) الجواب رحمه الله •

بعد حمد الله المجيب من دعاه • القريب من نادى نداءه
الذى ابتعث محمدا بانواره الساطعة وهداه وايده بالذين حموا حساه •
ونصروه على من عاداه • • • • •

فلما كتبت الى ايها الصدر الذى يشرح الصدر شفاه • والبدر
الذى يبهر البدر سناه • • والحبر الذى غدا في التمام ازهار الاداب راغبا •
ولاقتباس أنوار العلم طالبا • • فصل على اقتناء فرائدها • واقتناص شواردها
وألقي عقله عقال أوابدها • ومحال مصايدها • ومظان مطاردها • بما أودعه
الالمعية من المحاني المبتدعها ذهنه • واستعادة على لسان قلمه وقد
ألبيسته الفصاحة ما ألبيسته من حسن تلك الفطنة • • • • • فالآداب حرسه
الله تعالى رياض هو مجتنى غروسها • وسما هو مجتنى اثمارها وشموسها •
ويحر استقرت لديه جواهره • وسحر حلال لم تفك في عصره الا عن قلمه
سواحسه • فله في فن النظم والنثر حمل الرايتين • وسبق الفائتين •
وحوز البراعتين • وسر الصناعتين • وهو مجمع البحرين فما ظل القمامة •

وله النظر الثاقب في دقائقها فمن زرقاء اليمامة • وان شاء انشاء • فله التقدم على
قدامة • وان وشى طرسا فما ابن هلال الا كالغلامه • وان اجيز لك ما عندي •
فكأنما الزمتني أن أتجاوز حدى • لولا أن الاقرار بالرواية عن الاقران نهج
مهييج • والاعتراف بأن للكبير من بحر الصغير الاعتراف وان لم يكن مشرعه ذلك
المشجع • فعم قد اجزت لك ما رويته من أنواع العلوم • وما حملته على الشرط
المعروف • وما تقضيه الاستدعاء الرقيم بخطك الكريم • مما اقتدحه زندي
الساح • وجادت لى به السجيا الشجاع • من فنون الاداب التى باعك
فيها من باعس أمد • وسهمك فى مراميهما من سهمى أسد • وأذنت لك فى
اصطلاح ما تمثر عليه من الزلل والوهم • والخلل الصادر عن غفلة اغتراف النقل
ووهلة اعترضت الفهم • فيما صدر عن قريحتي القريحة من النشر والنظم •

والله المسئول أن يلهمنا رشدا يدلنا عليه • ودلالة تهدينا الى
ما يزلنا اليه • وهداية يسمي نورها بين أيدينا اذا وقفنا يوم المرض بين
يديه • بينه وكرمه ان شاء الله تعالى • • •

١ — اذا كانت لنا ملاحظات على شكل ومضمون الرسائل السابقة بين الصفدى
وابن سيد الناس • فان أول ما يطالعنا هذه المرة هو شى • يتعلق
بالمضمون فموضوع الرسالة ليس شوقا • ولا عتابا • ولا شكوى — كما هو
الحال فى الرسائل السابقة — بل هو طلب اجازة بالرواية
عنه فى كل ما ألفوا جمعه من منشور ومنظوم •

٢ — الملاحظة الثانية أن الاسلوب هو اسلوب المصنف نفسه الذى يعتمد
الى السجع والاقتياس وغيرهما من المحسنات اللفظية والمعنوية • الا أن
استعمال المحسنات يجى • هنا بلا تكلف ولا تعقيد مثل قول ابن سبيد
الناس :

”أيها الصدر الذي يشرح الصدر شفاه • والبدر الذي يبهر البدر
سناء •

فإن بين كلمة الصدر الأولى والصدر الثانية جناس تام ، حيث اتفقا
في اللفظ واختلفا في المعنى ، فالمقصود بالصدر الأولى صديقه الصفي •
مع لمح الصفة ، والمقصود بالصدر الثانية الصدر الحقيقي وهو مكان الاحساس ،
ونبض القلب في الانسان • وكذلك كلمة : البدر الذي يبهر البدر • فالمقصود
بالأولى الصفي • مع لمح صفة الاشرار في البدر الحقيقي ، والمقصود بالثانية
البدر الحقيقي وهو القمر — ، فكان الجناس التام بينهما مع جمال المعنى وقوة
السبك • ومثل هذا كثير في الرسالتين •

٣ — الملاحظة الثالثة جاءت بالمبالغات في رسالة ابن سيد الناس على
سنة العصر — افراط وزيادة في عبارات التعظيم — وتفرط في
عبارات التواضع •

ويحبر عن ذلك في مجال التعظيم قوله واضفا الصفي : فله في
فني النظم والثر حمل الرايتين ، وسبق الفاتيتين ، وحسوز
البراعتين • وسر الصناعتين •

وفي مجال التواضع نجده يقول عن نفسه : وأن أجيز لك ما عندي
فكأنما التزمتي أن أتجاوز حدي •

و قوله : ... من فنون الآداب التي باعك فيها من باعى أمد •
وسهمك في مراميهما من سهمى أسد •

تعليق :

من كل ما تقدم في هذا الباب من نشر مطبوع ، ومخطوط لابن سيد
الناس - وهو ما أمكني جمعه في هذه المدة الزمنية المحدودة - يتبين
لنا الجهد المقدر الذي شارك به ابن سيد الناس في إثراء اللغة العربية
بأبراز جواهرها ولائها من قاع بحرها العميق .

ولعله من الغواصين الذين عناهم حافظ إبراهيم بقوله :

فهل سألهوا الغواص عن صدقاتي ؟

وعلى كل حال فقد بذل جهد طاقته وأبرز مكون مواهبه وقد راتته
الأدبيّة .

وان لم يكن يرتقى الى مصاف كتاب الانشاء في زمانه أمثال القاضي
الفاضل ، وابن عبد الظاهر وغيرهم ، فحسبه أنه أديب ، شاعر ، ناثر ، عالم
فقيه ، أدى دوره كأحسن ما يمكنه الأداء .

وان كان يغلب على أسلوبه الصنعة والمحسنات اللفظية والمعنوية
فهي الاطار السائد لمعظم فنون الكتابة في ذلك العصر .

:: خاتمة ::

حمدا لله الذي وفقني لاتمام هذا العمل - * وما كنا لنهتدي
لولا أن هدانا الله * .

وصلاة وسلاما على سيدنا رسول الله الذي أمرنا بطلب العلم ومواصلة
المعرفة : من المهد الى اللحد * .

(وبعد)

أولا أود أن أتعرض في هذه الخاتمة لتلخيص ما دار في هذه
الرسالة والتي كان موضوعها : ابن سيد الناس وأدبه - دراسة وتحليل - فهي
تشتمل على مقدمة ، وثلاثة أبواب ، وخاتمة * .

الباب الاول :

عصره وحياته * .

تحدث في الفصل الاول من هذا الباب عن الناحية السياسية في
هذا العصر وكيف كانت تسير حياة الناس - حاكمين ومحكومين - ومن خلال
ذلك حاولت اظهار الدور الذي كان يقوم به ابن سيد الناس كعالم جليل
وأديب رقيق بجله ويقدره الافراد والحكام على السواء * .

وفي الفصل الثاني من هذا الباب تحدث عن الناحية الاجتماعية
في عصره ، وما كانت تنوع به الحياة من مشاكل اجتماعية ومضايقات فردية وجماعية
ومفاسد ملأت المجتمع جلبها بعض حكام المالكة وقاموا بحمايتها ، وان كانت
لهم اصلاحات لا تتكرر في بعض جوانب الحياة الاجتماعية ، وخصوصا في

الجانب الدينى منها ، فقد أولوا عناية كبيرة لبناء المساجد والزوايا وقاموا بالانفاق عليها * وقد كان لابن سيد الناس صوت المسموع عندما يرى منكرا أو يحس بخطر على المجتمع *

وفى الفصل الثالث تحدث عن الناحية الثقافية فى عصره ، وانتشار العلوم ، واشتغال العلماء بالبحث والتأليف والتدريس ، وعقد الحلقات لهذا الشأن فى الزوايا والمساجد مما جعل طلاب العلم يؤمنونها من كل حدب وصوب ، وكان لابن سيد الناس النصيب الاوفى فى هذا المجال أخذاً وعطاءً *

وفى الفصل الرابع تحدث عن نشأته وحياته وثقافته ، وأوضح ولادته - زمانا ومكانا - وتحدث عن آباءه وأجداده وعن موطنهم الاول وهو الاندلس ثم تحدث عن هجرتهم الى مصر حيث كانت نهاية المطاف وألقوا عصا الترحال وولد لهم أبو الفتح بن سيد الناس ونشأ وترعرع فى هذا البلد الطيب * " والبلد الطيب يخرج نباته بأذن ربه " واغترف من مناهل العلم والادب فكان ثمرة طيبة لهذا البلد *

وفى الفصل الخامس تحدث عن آثاره الادبية وتناولت كتبه المخطوطة والمطبوعة وقمت بوصفها وأخذت مقتطفات منها ، ورجعت فيما أورده من تراجم وأشعار من هذه الكتب المخطوطة الى بعض المراجع المطبوعة ، ووثقت ما وجدته فيها متفقا ، وأشارت الى ما وجدته مختلفا كما أشرت الى ما لم أجده مثبتا فى الكتب المطبوعة التى أمكنى الاطلاع عليها ، وأثبت ذلك فى نهاية صفحات الرسالة موقفا *

والباب الثانى :

عقدت في الفصل الاول منه مقارنة وموازنة بين قصيدتين في المدح لابن سيد الناس مع قصيدتين في نفس الغرض للبوصيري ، وتقدمت دراسة وتلخيصا لهذه القصائد مبينا أوجه التشابه في الاسلوب والمعاني وأوجه التفوق المختلفة عند كل منهما في التعبير والتصوير وما يمكن أن نعتبره استفادة من السابق لللاحق وتمييزا لشخصية أحدهما على الآخر .

والفصل الثاني من هذا الباب تناولت فيه مختارات من قصائد ابن سيد الناس في المدح ، وتعرضت لها بالتحليل والدراسة مبينا في ذلك سمات العصر وما اشتهرت به المدائح النبوية في تلك المدة من استعمال المحسنات البديعية حتى سهي بعضها : بالدبيجات ، وبينت جوانب الاشراق والابداع في هذه القصائد حسب تقاييس عصرها ، وما يمكن أن يحسب عليها من الإسراف أحيانا في استخدام المحسنات اللفظية والمعنوية .

أما الباب الثالث :

وهو : نشره وخصائصه .

فقد تحدثت في الفصل الاول منه عن النشر في عصر ابن سيد الناس وأنواعه وأساليبه المتنوعة ، وذلك لانه يمثل نواحي متعددة ومتباينة فمن الحياة فأصبح متعدد الأغراض والانواع ، فمنه الرسائل الديوانية والرسائل الاخوانية ، والرسائل الوصفية ، والخطابة الدينية وغيرها ، واستخلصت من كل ذلك سمات ومميزات النشر في هذا العصر ، والى أي مدى تأثر ابن سيد الناس بأساليب عصره النثرية ، واتخذت هذا الفصل مدخلا على نثر ابن سيد الناس . وفي الفصل الثاني تناولت نشره المطبوع والمخطوط بالدراسة والتعليق .

وإذا كانت طبيعة الحياة تقضي بذل الجهد والعرق في سبيل

نيل المقاصد وتحصيل التآرب ، فقد بذلت جهدا وترددت على المكتبات المتعددة في هذه المدينة العامرة المنصرة بأذن الله خلال مدة تزيد على السنة بعد أن قضيت سنتين دراسيتين في هذه الجامعة العتيقة ، وفي أثناء بحثي والى في معهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية عثرت على مخطوطين أدبيين لابن سيد الناس هما :

- منح المدح ، والمقامات الحلية ، " مصورة في فيلم واحد " .
- وبشرى اللبيب بذكرى الحبيب .

وتابعت البحث فوجدت له نثرا مخطوطا في كتاب :

" الحان السواجع بين البادي والمراجع - للصفدي "

فقدت بتصوير الرسائل الاخوانية الموجودة في كتاب الحان السواجع ، كما فقدت بتصوير الكتابين السابقين المخطوطين لابن سيد الناس ، وعكفت على دراسة ما وجدته في هذه الكتب من منشور ومنظوم مع ما بها من غرض وعدم وضوح ففى بعض الكلمات .

هذا الى جانب المعلومات التى استقيتها من بعض المراجع المطبوعة عن عصره وحياته ونشأته مما جعلنى اقضى الساعات الطوال بين صفحات الكتب .

نتائج البحث :

إذا كان كل عمل يقوم به الانسان لابد أن يصل فى نهايته الى نتيجة فان من أكبر النتائج التى توصلت اليها فى نهاية هذه الرسالة : أن تراثا العربى يحتاج الى كثير من البحث والتقيب فى طيات الكتب المطبوعة والمخطوطة لاكتشاف بعض جوانب التفوق فى شخصياته التى لم تجده

من يسلط عليها الضوء ، وهذا ما أرجو أن تكون حقته هذه الرسالة
في اظهار ابن سيد الناس — الاديب — .

ومن النتائج التي توصلت اليها أيضا أن المدائح النبوية
وفن المديح في الشعر العربي بصقة عامة يحتاج الى مزيد من الدارسين
والباحثين حتى يصل الى المكانة السامية التي يجب أن يتبوها في عالم
الادب .

” وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين “ .

* * *

:: فهرس المراجع ::

اسم المؤلف	الطبعة	اسم الكتاب
عـلى حـسن		١ - التاريخ الاسلامى
ابن تـفـرى	طبعة دار الكتب	٢ - النجوم الزاهرة
بـردى	بالقاهرة	
ابن الوردى		٣ - تاريخ مصر
ابن شـاكر الكتـبى		٤ - فوات الوفيات
ابن حـجـر	طبعة سنة ١٩٤٧ م	٥ - الدر الكامنة
المقـررى	طبعة سنة ١٣٢٦ هـ	٦ - السلوك
تقى الدين المقررى		٧ - اغاثة الامة
السبكى	طبعة سنة ١٩٥٨ م	٨ - معيد النعم ومبيد النقم
	مطبعة دار السعادة	٩ - البداية والنهاية
ابن كـثير	سنة ١٩٣٢ م	
المقـررى		١٠ - خطط المقررى
ابن الحـمـاد	طبعة ١٣٥١ هـ	١١ - شذرات الذهب
السبكى	الطبعة الاولى	١٢ - طبقات الشافعية
الادفوى	طبعة ١٩٦٦ م	١٣ - الطالع السعيد
المراكشى		١٤ - الذيل والتذكرة
		١٥ - الذيل على طبقات
ابن رجب		الحنابلة
للصفدى		١٦ - شرح اللامية

- ١٧ - منح المدح ابن سيد الناس
- ١٨ - الاصابة في معرفة الصحابة ابن حجر
- ١٩ - الاستيعاب في معرفة الاصحاب القرطبي
- ٢٠ - ديوان البوصيري تحقيق محمد سيد كيلاني
- ٢١ - الروائع فؤاد البستاني
- ٢٢ - المدائح النبوية في الادب العربي
- ٢٣ - ديوان البرعي حافظ حسن المسعودي
- ٢٤ - دلائل الامجاز عبد القاهر الجرجاني
- ٢٥ - مذاهب النقد وتضايها د * عبد الرحمن عثمان
- ٢٦ - الحان السواجع بين البادي والمراجع
- ٢٧ - بشرى اللبيب بذكرى الحبيب
- ٢٨ - المقامات المليحة في الكرامات الجليلة
- ٢٩ - عيون الاثر في فنون المخازي والمنازل والسير
- ٣٠ - ملاح من المجتمع السوداني ابن سيد الناس
- حسن نجيلة

:: فهرس الموضوعات ::

<u>الموضوع</u>	<u>رقم الصفحة</u>
١ - المقدمة	١
<u>الباب الاول :</u>	
<u>عصره وحياته</u>	
٢ - الفصل الاول : عصره السياسى	٣ - ١٣
٣ - الفصل الثانى : عصره الاجتماعى	١٤ - ٣٦
٤ - الفصل الثالث : عصره الثقافى	٣٧ - ٥٦
٥ - الفصل الرابع : نشأته وحياته وثقافته	٥٧ - ٦٨
٦ - الفصل الخامس : آثاره الاديبية	٦٩ - ١٠٣
٧ - توطئة الباب الثانى : المدائح النبوية فى عصر ابن سيد الناس	١٠٤ - ١٠٨
<u>الباب الثانى</u>	
<u>شعره وخصائصه</u>	
٨ - الفصل الاول : دراسة مقارنة فى قصيدتين فى المدح بينه وبين البوصيرى	١١٠ - ١٤٧
٩ - الفصل الثانى : مختارات من قصائد ابن سينا الناس دراسة وتحليل	١٤٨ - ١٨١

الباب الثالث

نشره وخصائصه

رقم الصفحة	
١٨٨ - ١٨٢	١٥ - الفصل الاول : النشر في عصره
٢١٢ - ١٨٦	١٦ - الفصل الثاني : نشره وخصائصه
٢٢٢ - ٢١٥	١٢ - الخاتمة
٢١٩ - ٢١٨	١٣ - فهرس المطابع
٢٢١ - ٢٢٠	١٤ - فهرس المؤلفات

* * *